

الأمانة العامة
المقدسة
الوارث
توزع مجاناً
٣٥
ذو الحجة ١٤٣٢
تشرين الثاني ٢٠١١
نشرة شهرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة
اللّهم والِ من والاه
وعادِ من عاداه
وانصر من نصره
وأخذل من خذله
من كنت مولاه فهذا
علي
مولاه



صفحات الوارث

الوارث



إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
– وزارة الثقافة لسنة ٢٠١١ : ١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ – داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم info@imamhussain-lib.org



يوم الأمر الإلهي

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسندا إلى الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره بنصب أخي علي بن أبي طالب علما لأمتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأتم على أمتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام يدنا».

ولا شك أن الأوامر التي نزلت من الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة ألا أن هذا الأمر يختلف عنها إذ أن عدم الالتزام بهذا الأمر يساوي ترك كل تلك الأوامر بل يساوي ترك الرسالة برمتها وهذا ما دل عليه قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.(١)

فإذن اليوم الذي نزل فيه الأمر الإلهي هو يوم لا كبقية الأيام، والأمر الذي نزل في ذلك اليوم هو أمر لا كبقية الأوامر التي جاءت في القرآن الكريم كالأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والجهاد في سبيل الله وحج بيت الله الحرام وصيام شهر رمضان المبارك وغيرها. فعدم تطبيق هذا الأمر يساوي عدم الالتزام بكل الرسالة اي يساوي عدم إقامة الصلاة وأداء الزكاة وعدم الجهاد وصوم شهر رمضان المبارك وأداء الحج وغيرها من الأوامر.

ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام عن هذا اليوم: «إن هذا اليوم عظيم الشأن، فيه وقع الفرج، ورفعت الدرج، ووضحت الحجج». وسماه: «وهو يوم الايضاح والافصاح عن المقام الصراح ويوم كمال الدين ويوم العهد المعهود ويوم الشاهد والمشهود ويوم تبيان العقود عن النفاق والجحود ويوم البيان عن حقايق الايمان ويوم دحر الشيطان ويوم البرهان ، هذا يوم الفصل الذي كنتم توعدون، هذا يوم الملأ الأعلى الذي أنتم عنه معرضون، هذا يوم الارشاد ويوم محنة العباد ويوم الدليل على الرواد ، هذا يوم أبدي خفايا الصدور ومضمرات الأمور هذا يوم النصوص على أهل الخصوص....».

فلم يزل عليه السلام يقول: هذا يوم... هذا يوم... حتى طال وصف هذا اليوم العظيم، فلذا رأيت أن أسميه بيوم الأمر الإلهي لما يترتب على الالتزام بما جاء بهذا اليوم العظيم ولما يترتب على تارك الالتزام بالأمر.

المشرف العام

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.



الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء

الحلقة الأولى

خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة يوم الثلاثاء يوم التروية لثمان مضين من ذي الحجة.

وانتقل الخبر بأهل المدينة أن الحسين ابن علي عليهما السلام يريد الخروج إلى العراق، فكتب إليه عبد الله بن جعفر: بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي عليهما السلام من عبد الله بن جعفر، أما بعد! أنشدك الله أن لا تخرج عن مكة، فإنّي خائف عليك من هذا الأمر الذي قد أزمعت عليه أن يكون فيه هلاكك وأهل بيتك، فإنك إن قتلت أخاف أن يطفئ نور الأرض، وأنت روح الهدى وأمير المؤمنين، فلا تعجل بالمسير إلى العراق فإنّي آخذ لك الأمان من يزيد، وجميع بني أمية على نفسك ومالك وولدك وأهل بيتك والسلام.

قال: فكتب إليه الإمام الحسين بن علي عليهما السلام:

«أما بعد! فإن كتابك ورد عليّ فقرأته وفهمت ما ذكرت، وأعلمك أني رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي فخبرني بأمر وأنا ماض له، لي كان أو عليّ، والله يا ابن عمي لو كنت في حجر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني ويقتلوني؛ والله يا ابن عمي ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود على السبت والسلام».

وقال ابن سعد: وأنبأنا علي بن محمد، عن الحسن بن دينار، عن معاوية ابن قرّة قال، قال الحسين:

«والله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت».

وروى ابن عساكر كتاب عبد الله بن جعفر وقال: فكتب الحسين عليه السلام:

«إني رأيت رؤيا ورأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمرني بأمر أنا ماض له ولست بمخبر بها أحدا حتى ألاقي عملي».

وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو ابن سعيد بن العاص فكلمه وقال: اكتب إلى الحسين كتابا تجعل له فيه الأمان، وتمنيه فيه البر والصلة، وتوثّق له في كتابك، وتسأله الرجوع، لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع، وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ويعلم أنه الجد منك.

فقال عمرو بن سعيد: أكتب ما شئت وأتني به حتى أختمه، فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو ابن سعيد إلى الحسين بن علي، أما بعد، فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغني أنك قد توجّهت إلى العراق، وإني أعيذك من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعد، فأقبل إليّ معهما، فإنّ لك عندي الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار، لك الله بذلك شهيد وكفيل، ومراع ووكيل، والسلام عليك).

ثم أتى به عمرو بن سعيد فقال له: إختمه، ففعل، فلحقه عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقرأه يحيى الكتاب، وكتب إليه الحسين عليه السلام:

«أما بعد؛ فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عزّ وجل وعمل صالحا وقال: إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانة يوم القيامة».

ثم انصرفا إلى عمرو بن سعيد فقالا: أقرأناه الكتاب وجهدنا به، وكان مما اعتذر

إليه أن قال:

«إني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمرت فيها بأمر أنا ماض له عليّ كان أولى».

فقالا له: فما تلك الرؤيا؟

قال:

«ما حدثت بها أحدا وما أنا محدث بها حتى ألقى ربي».

وروى ابن عساكر في جواب الإمام الحسين عليه السلام لعمرو بن سعيد العاص هكذا:

«إن كنت أردت بكتابك إليّ برّي وصلتي فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة وإنه لم يشاقق الله من دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين وخير الأمان أمان الله، ولم يؤمن بالله من لم يخفه في الدنيا فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمان الآخرة عنده».

في بعض الكتب نقلا عن أبي مخنف: إنّ الإمام الحسين عليه السلام حين خرج من مكة إلى الكوفة سار في طريق إلى المدينة، ثم أتى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعتنقه وبكى بكاء شديداً، فحملته عينه فغفا ونام، ورأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول:

«يا ولدي الوحا الوحاء، العجل العجل، فقد قدمت أمّك وأبوك وأخوك الحسن وجدّتك خديجة الكبرى وكلهم مشتاقون إليك، فبادر إلينا».

فانتبه الإمام الحسين عليه السلام باكيا حزيناً شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجاء إلى أخيه محمد بن الحنفية وهو عليل فحدّثه بما رأى وبكى، فقال له: يا أخي ماذا تريد أن تصنع؟

قال عليه السلام:

«أريد الرّحيل إلى العراق، فإني على قلق من أجل ابن عمي مسلم بن عقيل».

فقال له محمد الحنفية: سألتك بحق جدك محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن لا تفارق حرم جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ لك فيه أعواناً كثيرة.

فقال الإمام الحسين عليه السلام:

«لابدّ من العراق».

فقال محمد بن الحنفية: إني والله ليحزنني فراقك، وما أقعدني عن المسير معك إلا لأجل ما أجده من المرض الشديد، فو الله يا أخي ما أقدر أن أقبض على قائم سيف ولا كعب رمح، فو الله لا فرحت بعدك أبداً، ثم بكى شديداً حتى غشي عليه، فلما أفاق من غشيته قال: يا أخي استودعك الله من شهيد مظلوم، وودّعه الحسين عليه السلام وسار من المدينة.

وفي أكثر كتب التأريخ: أنه عليه السلام خرج من مكة إلى الكوفة ولم يسر إلى المدينة، وأوّل موضع مرّ به عليه السلام بعد مكة التنعيم.

التنعيم

ثم إنّ الإمام الحسين عليه السلام أقبل حتى مرّ بالتّنعيم، فلقى بها عيراً قد بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد ابن معاوية، وكان عامله على اليمن، وعلى العير الورس والحلل ينطلق بها إلى يزيد.

ثم قال لأصحاب الإبل:

«لا أكرهكم، من أحب أن يمضيَ معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنا صحبته، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض».

فمن فارقه منهم حوسب فأوفى حقّه، ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه.

الصفاح

ثم سار حتى بلغ الصفاح وروي عن الفرزدق أنّه قال: حججت بأمي في سنة ستين، فبينما أنا أسوق بعيرها حتى دخلت الحرم إذ لقيت الحسين عليه السلام خارجاً من مكة، معه أسيافه وأتراسه، فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن علي عليهما السلام، فأتيته وسلّمت عليه، وقلت له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحبّ بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله، ما أعجلك عن الحجّ؟

قال:

«لو لم أعجّل لأخذت».

ثم قال لي:

«من أنت؟».

قلت: رجل من العرب ولا والله ما فتّشني عن أكثر من ذلك.

ثم قال لي:

«أخبرني عن الناس خلفك؟».

فقلت: الخبير سألت، قلوب الناس معك وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء.

فقال:

«صدقت، لله الأمر من قبل ومن بعد وكل يوم (ربنا) هو في شأن، إن نزل القضاء بما نحب (ونرضى) فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجال فلم يبعد من كان الحق نيته والتقوى سيرته».

فقلت له: أجل بلّغك الله ما تحبّ، وكفاك ما تحذر، وسألته عن اشياء من نذور ومناسك فأخبرني بها، وحرّك راحلته وقال:

«السلام عليك».

ثمّ افترقنا.

روي أنه عليه السلام قال له:

«يا فرزدق إنّ هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا الخمور، واستأثروا في أموال الفقراء والمساكين، وأنا أولى من قام بنصرة دين الله وإعزاز شرعه والجهاد في سبيله؛ لتكون كلمة الله هي العليا».

فأعرض عنه الفرزدق وسار.

وروى الدينوري: أن الإمام عليه السلام قال:

«كيف خلّفت الناس بالعراق؟».

وقال ابن عساكر: أنه عليه السلام قال:

«ما ترى أهل الكوفة صانعين بي؟».[1]

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٣٠ ـ ٣٣٧.

التوحيد الفطري

الحلقة الثانية

قال الله تبارك وتعالى:

((رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ))[1]

إن هذه الآية تدلّ على أن للإنسان لوناً من العلم الحضوري بالله سبحانه يصل فيه على ذات الباري تعالى، ولكي نقرّب ذلك إلى الذهن نذكر هذا المثال:

قد تشاهدون أحياناً بناءً وهو يبنى وتلاحظون دقته في العمل وتلمسون مهارته، ثم تصادفون في مكان آخر بنّاء يتميز بنفس الصفات فتتذكرون عندئذ ذلك البنّاء وتقولون إنه هو الذي قام بهذا البناء، هذا مثلما لو كانت للإنسان معرفة لذات الله وعندما يشاهد آثار حكمته فإنّ قلبه يستيقظ ويدرك أنّ الخالق هو نفس ذلك الذي يعرفه من قبل، وبالتفات قلبه يستطيع أن يؤدّي عبادة واقعية، والرواية التي مرّ ذكرها تقول: (ومعرفة صفة الغائبِ قبل عينه)، فالحاضر يعرف هو أولاً ثم تعرف أوصافه، أما إذا أراد الإنسان أن يعرف موجوداً غائباً فهو لابدّ أن يعرف أوصافه أولاً.

وتريد هذه الآية أن تقول:

إنّ لكلّ إنسان معرفة بذات الله غائرة في أعماق قلبه، وعندما يصادف آثاره فإنّ تلك المعرفة تستيقظ، وهي معرفة فطريّة غير مكتسبة ولكننا عادة غير ملتفتين إليها، وعندما نلتفت إليها تنتقل إلى الوعي.

وتقول هذه الرواية:

لولا تلك المواجهة لم يعرف أحد مَن خالقه بالذات، وهو قد يدرك أنّ له خالقاً، ولكن من هو؟ لا يدري، لأنه لم يشاهد شخصه، ولكنه لما كانت هذه المعرفة الشهوديةِ حاصلة له فعندما ينبئه عقله أنّ للعالم خالقاً فهو يعرف من هو هذا الخالق، لأنّه قد تعرّف عليه من قبل.

إذن حسب هذا الفهم الذي تؤيّده الروايات والذي لا أدّعي ابتكاره يصبح القرآن مؤيّداً أنّ للإنسان معرفة حضورية وشهودية بالنسبة للّه تعالى.

ولا يفوتنا أن ننبّه في هذه المناسبة على أنّ الإنسان بفضل هذه المعرفة الحضورية - علاوة على إدراكه لأصل وجود الله - فو يدرك أموراً أخرى: من جملتها صفات الله عزّ وجل، ومن أهمها الربوبية، أي أنّ هذا الشهود كان بشكل بحيث لا يدرك فيه أن الله خالقه فحسب، وإنما يدرك بالإضافة إلى ذلك أنه ربّه وصاحب الاختيار والمدبّر للعالم؟ ولهذا لم يقل في الآية الكريمة: ألست بخالقكم؟ وإنما قال: ألست بربكم؟ وكأنه يقول أليس وجودكم تحت تصرفي؟ قالوا: بلى.

إذن لا تثبت هذه الآية الخالقية فقط بل ومعها الربوبية، وعلاوة على ذلك يثبت التوحيد أيضاً، أي يثبت أنه لا أحد غيره خالق أو ربّ، ومن أين جاءنا هذا؟

لقد جاءنا من تلك العلاقة الحضورية بالله، ولم يأت جزافاً ولا من دون قاعدة، فالمعرفة الحضورية لون من المعرفة بين الإنسان وربّه، أو العلة المانحة للوجود والمفيضة له بالاصطلاح الفلسفي، وهو ارتباط وجودي، فمعنى العلم الحضوري هو أنّ بين وجودنا وخالقنا رابطة تكوينية نراها.

ونواجه أمامنا هذا السؤال: بالنسبة لمن يحصل لي هذا الشهود؟ إنه يحصل لي بالنسبة لكلّ أحد يرتبط معي بهذه الرابطة الوجودية، فهذا الارتباط يكون مورد الشهود، فإذا كان هذا الارتباط موجوداً فهو يُرى، وإن لم يكن موجوداً فإن العلم الحضوريّ لا يتعلق بشيء غير موجود.

وعندما يصبح هذا الارتباط مشهوداً، فمع أيّ أحد يكون هذا الارتباط فإنّه سيرى، وفي هذه المكالمة شاهدوا ارتباطهم بالله فقط، ولو كان لهم ارتباط بغيره لشاهدوه أيضاً، لأنّ هذا الشهود لم يكن بلا ضابطة وإنّما كان لوجود الرابطة التكوينية بين الإنسان وربّه، ولكي نقرّب الموضوع للذهن افرضوا أن هذا المصباح مربوط إلى السقف بسلك، وبالتالي فهو مرتبط بالسقف، والرابط بينهما هو السلك، فإذا حضر شخص يتمتع بقوة الإبصار وتوفرت له شروط الرؤية فهو عندما ينظر يرى ما هو موجود، فإذا كان هناك سلك واحد يربط بين المصباح والسقف فإنه سيرى سلكاً واحداً، وإذا كان هناك سلكان فهو سيرى اثنين، وإذا كان ثلاثة فهو سيرى ثلاثة.

وكذا الرابطة بيننا وبين الله فهي رابطة تكوينية حقيقية، أي أنّ وجودنا مرتبط به، ولتقريب هذا للذهن نذكر مثالاً وهو أفعال وأحوال أنفسنا فهي مرتبطة بأنفسنا، لو فرضنا أنك أوجدت صورة في ذهنك، فهل يمكن أن تكون هذه الصورة الذهنية موجودة دون أن يكون ذهنك موجوداً؟ تصور الآن في ذهنك شجرة تفاح، هل تتصور شجرة التفاح هذه التي في ذهنك بدون ذهنك؟

كلاّ، إنّ حقيقتها هي ارتباطها بالذهن، والعالم بالنسبة إلى الله تبارك وتعالى له مثل هذا الارتباط، بل فوق هذا الارتباط، ونحن نذكر هذا للتقريب للذهن، وإلاّ فإنّنا لا نستطيع إدراك حقيقة العلاقة بين الإنسان وربه أو بين العالَم وخالقه.

إذن إذا كانت هناك علاقة تكوينية

بين الله والإنسان، فإنه في الشهود سوف ترى نفس تلك العلاقة، فإن كانت للإنسان مثل هذه العلاقة مع ربّين ـ والعياذ بالله ـ أي كان لنا خالقان، فعند حصول المعرفة الشهودية لابدّ أن ندرك ارتباطنا الوجودي بربّين، لأن الشهود ينصبّ على حقيقة الارتباط، ولكنه لما كنا لم ندرك في هذا الارتباط إلاّ ربّاً واحداً فهذا دليل على أنه لا ربّ غيره.

إذن كما تثبت هذه المكالمة وجود الله فهي تثبت أيضاً ربوبيته، أي أن الإنسان من خلال هذا الشهود يرى نفسه بالنسبة إلى الله كالصورة الذهنية بالنسبة إلى الذهن الذي يتصورها، إنها معلقة تماماً على التفاته، فما دام الذهن ملتفتاً فالصورة الذهنية لشجرة التفاح موجودة، أما إذا انصرف الذهن فلن تكون هناك صورة ذهنية بل تنعدم.

قوام وجودها بإرادتنا والتفاتنا، وكذا يكون العالم كلّه بالنسبة لله، فإذا أراد الله فالعالم موجود، وإذا انقطعت إرادته فإنّ العالم ينعدم ولا يبقى منه شيء.

إذا شعر الإنسان بهذه الحالة، بأنّ وجوده مرتبط بالله، كل وجوده بيد القدرة الإلهية، إن شاء الله فهو موجود وإن لم يشأ فهو لا شيء، فقد أدرك حقيقة الربوبية الإلهية، أي أن وجودنا تحت تصرفه إن شاء كنا وإن لم يشأ لم نكن:

((إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ))[2]

هكذا يكون وجود العالم بالنسبة إلى الله، فإن أدركنا هذه الحالة التي يقول القرآن الكريم إننا شاهدناها من قبل ونسيناها الآن، وأوصلناها ـ بتوفيق الله ـ إلى حدّ الكمال، وهي المعرفة التي نالها أولياء الله، فسوف نجد أن وجودنا بالنسبة إلى الله ليس له أيّ استقلال، وجميع ما سوى الله فهو تبلور إرادته، كانت إرادته فكان العالَم، وإن لم تكن إرادته لم يكن شيء.

يستطيع الإنسان أن يرى هذا بالعلم الحضوري في عالم يسميه بعض العلماء بعالم الذرّ أو عالم الميثاق، حيث قال الله: ألست بربّكم؟ وعقد مع خلقه ميثاق العبوديّة، أمّا ما هي كيفيته؟ وأيّ عالم هو؟ فنحن لا نعرف شيئاً عن هذه العوالم، لا نعرف إلاّ العالم الطبيعي، ولهذا لا نستطيع أن نفهم كيفيته، ولا بأي شكل تحققت هذه المكالمة، وهذه الجهات هي المبهمة في الآية الكريمة، وعلة الإبهام هي النقص في أفهامنا حيث لا علم لها بما وراء الطبيعة.

وعلى أساس هذه المشاهدة فإن لنا معرفة بذات الله وربوبيته ووحدانيته، وقد جاء في بعض الروايات: (فطرهم على التوحيد).

وقد ورد هذا التعبير في ذيل آية الفطرة في سورة الروم، وفي ذيل آية الميثاق في سورة الأعراف، ويلزم من كون الله قد فطر الناس على التوحيد أن يكونوا عارفين لربوبيته ووحدانيته وأهليّته للعبادة، وجاء في بعض الروايات: (فطرهم على المعرفة بأنّه لا ربّ سواه).

نستخلص من هذا أن الآية تدلّ على أن لنا معرفة فطريّة، وللمعرفة الفطرية معنيان: أحدهما معرفة الله الفطرية العقلية التي تحصل بوساطة المفاهيم الكلية، والثاني معرفة الله الحضورية الشهودية التي تحصل بوساطة الرؤية القلبية.

وحسب هذا البيان الذي مرّ علينا فقد كانت للإنسان بالنسبة لله مثل هذه المعرفة الحضورية، وفي أنفسنا الآن بقايا منها تقطع علينا الأعذار، أي إذا اتّجهنا إلى معرفة الله فسيكون حالنا حال من يشاهد آثار بناء لبنّاء ماهر كان يعرفه من قبل، وتذكّره هذه الآثار به، فلا يحقّ له أن يقول إنه لبنّاء آخر لعله يعود للأصنام، كلاّ، إن قلبه يعرف من هو الذي بيده عالم الوجود، صحيح أنه غافل الآن، وقد أضعف معرفته الفطرية هذه اهتمامه الشديد بعالم المادة، ولكنّه عندما يتجه إلى العبادة ويستخدم الدليل العقلي ويستنير بما جاء به الأنبياء من بشارة وإنذار فلا يحق له عندئذٍ أن يقول إنني ظننت أن الخالق للسماء والأرض هو الصنم المنحوت من الصخر، لأنك إذا التفتّ إلى هذه الحقيقة: وهي أنّنا لابدّ أن نعبد من بيده نظام العالم ومنه وجوده، وأنت تعرفه من قبل فلا يحق لك أن تطبّقه على غيره، فالأعذار غير مقبولة، وإذا قلت:

((إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ))[3]

فسيقولون لك إنّ لديك شعوراً، وقد عرفت الله من قبل ورآه قلبك، فليس من حقك أن تعبد صنماً مصنوعاً من تمر أو من طين، وأنت تعرف من هو المؤهّل للعبادة وقلبك قد رآه من قبل، لهذا لا يقبل منك عذر.

قوله سبحانه وتعالى:

((فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ))[4][5]

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٣.

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٥) معارف القرآن، الأستاذ محمد تقي المصباح: ص٥٢ ـ ٥٦.

خلق الإنسان في كلمات نهج البلاغة وخطبه

الحلقة الأولى





قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (ثُمَّ جَمَعَ سُبْحانَهُ مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وَسَهْلِها، وَعَذْبِها وَسَبَخِها، تُرْبَةً سَنَّها بِالْماءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلاطَها بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ فَجَبَلَ مِنْها صُورَةً ذاتَ أَحْناء وَوُصُول، وَأَعْضاء وَفُصُول، أَجْمَدَها حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَها حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْت مَعْدُود، وَأَمَد مَعْلُوم، ثُمَّ نَفَخَ فيها مِنْ رُوحِه، فَمَثُلَتْ إِنْساناً ذا أَذْهان يُجيلُها، وَفِكَر يَتَصَرَّفُ بِها، وَجَوارِحَ يَخْتَدِمُها وَأَدَوات يُقَلِّبُها وَمَعْرِفَة يَفْرُقُ بِها بَيْنَ الْحَقِّ وَالْباطِلِ وَالأَذْواقِ وَالْمَشامِّ وَالأَلْوانِ وَالأَجْناسِ، مَعْجُوناً بِطينَةِ الأَلْوانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالأَشْباهِ الْمُؤْتَلِفَةِ وَالأَضْدادِ الْمُتَعادِيَةِ، وَالأَخْلاطِ الْمُتَبايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ».



تناولت خطبة الإمام(عليه السلام) هنا خلق العالم والسموات ثم عرجت هنا إلى سائر مخلوقات هذا العالم ومن بينها خلق الإنسان ومراحله المختلفة والتي قسمها(عليه السلام)إلى خمس مراحل تكتنف تمام مسيرة حياته وهي:

١. خلقة آدم من ناحية الجسم والروح (يعني في مرحلتين).

٢. سجود الملائكة لآدم وتمرد إبليس.

٣. إسكان آدم الجنّة ثم بيان ترك الأولى الذي صدر من آدم (عليه السلام) وندمه وتوبته وأخيراً قبول توبته وإخراجه من الجنّة والهبوط إلى الأرض.

٤. لقد أصبح لآدم ذرية ثم تكاثرت هذه الذرية فكونت المجتمعات البشرية ثم بعث الله أنبياءه (عليهم السلام) بكتبه السماوية المقدسة من أجل هداية الناس وتنظيم شؤون المجتمعات البشرية والأخذ بأيديها إلى حيث السمو الروحي والرفعة والكمال.

٥. المجتمعات البشرية من جانبها خطت خطوات عريضة نحو التكامل حتى تأهلت لتقبل الدين الخاتم حيث اصطفى الله رسوله محمداً (صلى الله عليه وآله) فبعثه بالقرآن الكريم لهداية الإنسانية وإنقاذها من خلال اطروحته التي تتضمن السعادة والفلاح، ثم تحدث الإمام(عليه السلام)عن القرآن.

مراحل خلقة آدم(عليه السلام) من الناحية الجسمية والروحية

قال الإمام(عليه السلام)بشأن خلق جسم آدم(عليه السلام): «ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربة». فالعبارة تشير إلى خلق الإنسان من التراب من جهة، كما تشير من جهة اُخرى أن ذلك التراب مركب من جميع المواد المختلفة على وجه الأرض لتنطوي على مختلف الاستعدادات وتشمل التنوعات والتقلبات التي تحتاجها المجتمعات البشرية في مختلف مجالات حياتها، ثم أشارت إلى مادة اُخرى هي الماء والتي اختلطت بالتراب فقال(عليه السلام) بهذا الشأن «سنها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت».

دور الماء وأهميته في خلق الإنسان

فالواقع أنّ دور الماء هو خلط تلك الأجزاء المختلفة مع بعضها وتخليصها من شوائبها وارساء الوشيجة والرابطة بين هذه الأجزاء. ثم أشار(عليه السلام) إلى مسألة تبلور خلقة الإنسان من ذلك التراب والطين فقال(عليه السلام): «فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول». في الواقع «أحناء» جمع «حنو» إشارة إلى انحناءات البدن من قبيل انحناء الأضلاع والفك العلوي والسفلي وراحة القدم بحيث يتكيف البدن للقيام بمختلف الأعمال والفعاليات، وذلك لتعذر قيامه بمثل هذه الأفعال التي يمارسها اليوم لو كان البدن على هيئة جسم هندسي مكعب أو ما شابه ذلك.

ارتباط الأعضاء مع بعضها

أمّا العبارة «وأعضاء وفصول» فهي تشير إلى الأعضاء المختلفة التي ترتبط مع بعضها من خلال المفاصل; الأمر الذي أكسب البدن القدرة العملية على ممارسة مختلف الأنشطة فلو كانت يد الإنسان على سبيل المثال مستوية ذات عضو واحد وعظم واحد لا تقوى على أداء الفعاليات التي تؤديها الآن، بينما نعلم أنّ البارئ سبحانه جعلها عدّة عظام وغضاريف وعدّة أعضاء متصلة مع بعضها مع البعض الآخر; الأمر الذي جعل كل إصبع بل كل سلامية من أصابعه وإضافة لليد تتمتع بعملية خاصة وهذه بدورها تعدّ آية من آيات حكمته وعظمته سبحانه.

ثم أشار الإمام(عليه السلام) إلى مرحلة لاحقة فقال: «أجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصلت» وبذلك فقد أعد الإنسان إعداداً تاماً من الناحية البدنية بحيث يسير إلى الغاية المعينة المرسومة له «لوقت معدود وأجل معلوم». فقد روي في بعض الروايات عن

الإمام الباقر(عليه السلام) أن هذه الحالة دامت أربعين سنة، فكان جسد آدم ملقى في موضع والملائكة تمر به وتقول لأي أمر خلقت؟.

ولعل هذه المدّة الزمانية. كما صرّح بذلك بعض المحققين. كانت اختباراً للملائكة أو إرشاداً وتعليماً للناس بالتأني في الأمور وعدم الاستعجال فيها. وهنا جاءت المرحلة الثانية؛ مرحلة نفخ الروح في الجسد ليتحول إلى هذه الطبيعة الإنسانية التي زود فيها الإنسان بقوى العقل والإدراك التي تسوقه لممارسة الأعمال: «ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها».

القوى العقلية والذهنية التي زود بها الانسان

العبارة «ذا أذهان يجيلها» إشارة إلى مختلف القوى العقلية والذهنية التي زود بها الإنسان ويوظف كلاً منها في مجال من مجالات حياته بحيث يلائم بينها جميعاً في مسيرته نحو الهدف المنشود (والقوى المذكورة عبارة عن قوة الإدراك وقوة الحفظ وقوة الخيال و...).

وهنا لابدّ من الالتفات إلى أنّ الذهن في الأصل يعني القوة، ثم استعمل بمعنى العقل والفهم والدراية وسائر القوى العقلانية، فالعبارة تشير إلى أنّ الإمام(عليه السلام)قد عنى مختلف هذه القوى معتبراً كل واحدة منها نعمة وعناية من العنايات الإلهية ثم قال(عليه السلام): «وفكر يتصرف بها».

وقد يتصور أحياناً أنّ هذا التعبير من قبيل العطف التفسيري والتعبير الآخر لمفهوم العبارة السابقة، غير أنّ الظاهر هو أنّ كل عبارة من العبارتين تشير إلى حقيقة: فالعبارة «ذا أذهان يجيلها» إشارة إلى مراحل المعرفة والتصور والتصديق وفهم وإدراك الحقائق، وأمّا العبارة «وفكر يتصرف بها» فهي إشارة إلى الأفكار التي تخضع لمرحلة التطبيق ويتصرف الإنسان بواسطتها في مختلف الأشياء (لابدّ من الالتفات هنا إلى أنّ الفكر في الأصل يعني الحركة الفكرية وتوظيف الذهن).

على كل حال فقد جاءت مفردة «فكر» بصيغة الجمع (كالأذهان بصيغة الجمع) لتفيد أن القوى العقلية والأفكار الإنسانية كثيرة للغاية ومتنوعة، وهذه نقطة مهمّة أكدها كبار الفلاسفة والمفكرين وعلماء النفس، وإليها تعزى الفوارق في الاستعدادات الفكرية لأفراد البشرية.

فربما كان هناك الأفراد الأقوى في قسم منها وأضعف في القسم الآخر بينما هنالك العكس، فالمسألة تنطوي على أسرار ورموز عجيبة للغاية، وكلما غاص الإنسان في كنهها تعرف أكثر على عظمة الحق خالق هذه القوى الذهنية والفكرية. ثم يتطرق(عليه السلام) بعد ذلك إلى شيئين يسهمان في ايصال الإنسان إلى هدفه المطلوب وهما الجوارح والأدوات التي زوده بها الله سبحانه ليتسنى له تحقيق ما يصبو إليه «وجوارح يختدمها وأدوات يقلبها».

فالواقع هو أنّه يجتاز أربع مراحل لبلوغ الهدف: تمثلت المرحلة الأولى بالمعرفة والإدراك والتصور والتصديق ومرحلة الفكر ومن ثم ائتمار الأعضاء والجوارح، وأخيراً الاستعانة بالأدوات المختلفة التي خلقها الله في هذا العالم حين لا تجدي الأعضاء والجوارح بمفردها نفعاً، كما أنّ كل مرحلة من هذه المراحل الأربع متنوعة تتفرع منها عدّة فروع.

ولما كان بلوغ الأهداف المرسومة يتطلب تشخيصاً وتمييزاً للحق من الباطل والصواب من عدمه وكافة المحسوسات المختلفة، فانّه يتحدث عن إحدى قوى النفس المهمّة والتي تعتبر في الواقع المرحلة الخامسة، ألا وهي قوة التمييز ولا يراد بها سوى المعرفة «ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل». كما يتمكن بواسطة هذه القوة من تمييز المحسوسات من قبيل الأطعمة والأذواق و... «والأذواق والمشام والألوان والأجناس».

والواقع ان قدرة التمييز والتشخيص والمعرفة لمن أهم قوى الإنسان العقلية التي تشمل الأمور المعنوية كالحق والباطل كما تشمل الأمور المادية المحسوسة كالألوان والمشام والأذواق. فهل قوّة التمييز هذه هى قوة مستقلة، أم داخلة في مفهوم الذهن والفكر في العبارة السابقة؟ يبدو من كلامه(عليه السلام) أنّها قوّة مستقلة، جدير بالذكر أنّ الحديث تطرق لأربعة أصناف من الأمور المادية والمحسوسة وهى: الأذواق، المشام، الألوان والأجناس التي تشير هنا إلى مختلف أنواع الموجودات. من قبيل مختلف أنواع النباتات، الطيور والحيوانات وما إلى ذلك، امّا عدم الإشارة إلى المسموعات (الأصوات) والملموسات فلأن بيان الأقسام الثلاثة كان على نحو المثال، فذهن كل مستمع سينتقل إلى بقية ذلك من خلال الأقسام الثلاثة المذكورة.

أهم خصائص الخلقة الانسانية

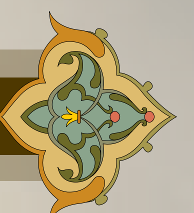
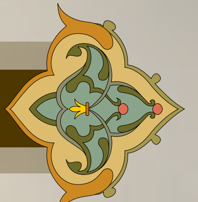
ثم ينتقل الإمام علي(عليه السلام) ليشير إلى أهمّ خصائص الإنسان التي تشكل المصدر الرئيسي لأغلب ظواهر حياته فيقول: «معجوناً بطينة الألوان المختلفة». ولعل هذه العبارة إشارة إلى اختلاف ألوان الناس وأعراقهم المتفاوتة، أو اختلاف لون أجزاء البدن حيث إنّ بعضها تام البياض (كبياض العين والعظام) والآخر تام السواد (كالشعر) وسائر الألوان التي يكسبه خلطها جمالاً خاصاً، كما يمكن أن يكون المراد بها معنى أوسع بحيث يشمل سائر الاستعدادات والغرائز المختلفة. ثم أضاف الإمام(عليه السلام) قائلاً: «والأشباه المؤتلفة» من قبيل الأوردة والشرايين والأعصاب والعظام التي يشبه إلى حدّ بعيد بعضها البعض الآخر، وفي نفس الوقت تقوم بعدة وظائف ومهام. وأخيراً قال(عليه السلام): «والاضداد المتعادية والأخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود».

والعبارة إشارة إلى الطبائع الرباعية المعروفة في الطب التقليدي، والأطباء المعاصرون وأن تنكروا لهذه الطبائع لفظاً، غير أنّهم أوردوها بتعابير أخرى من قبيل الاستعاضة عن الحرارة والبرودة بارتفاع ضغط الدم وانخفاضه، كما يصطلحون بزيادة ماء الجسم وقلته بدلاً من البلة والجمود.

على كل حال فان عبارات الإمام(عليه السلام) آنفة الذكر إنّما تشير إلى قضية مهمّة في أنّ الله سبحانه قد خلق جسم الإنسان (بل جسمه وروحه) مركباً من مواد مختلفة وكيفيات متنوعة واستعدادات وغرائز متباينة، وأنّ هذه الفوارق والتباينات شكلت أساس التفاوت في أساليب التفكير لدى أفراد الجنس البشري؛ الأمر الذي أدى في خاتمة المطاف إلى تلبية مختلف حاجات الجماعات البشرية وإشغال المناصب الاجتماعية على ضوء تلك الاستعدادات بحيث تنتظم الأمور ويوضع كل شيء في موضعه فيتسق النظام العام، ولا يسع المقام الخوض أكثر في تفاصيل هذا الموضوع.[1]

....

(١): هذا البحث مقتبس من كتاب نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة لآية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج١ ص١٠٩ ـ ١١٤.

حرمة المؤمن الشيعي وعظمته ووجوب نصرته

لا يخفى على القارئ المثقف والمطلع تلك الهجمة الشرسة والشنيعة التي يشنها أعداء أهل البيت على أتباع أهل البيت عليهم السلام ومواليهم، فتارة يصفونهم بالطابور الخامس الذي يبث روح التفرقة والنزاع في الكيان الإسلامي، وتارة أخرى يتهمونهم بقتل أهل البيت عليهم السلام، وتارة ثالثة يتهمونهم بمعاونة اليهود والنصارى للقضاء على الإسلام والمسلمين، وغير ذلك من التهم الشنيعة والتي ليس لها هدف إلا تشويه صورة التشيع عموما والإنسان الشيعي على وجه الخصوص في وجه العالم الإسلامي والغربي ليقفوا حائلا دون المد الشيعي الذي جعل يكتسح العالم الإسلامي والغربي بأفكاره ومناهجه وأطروحاته الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والفلسفية وغير ذلك.

وقد اخترنا فيما يأتي بعض الروايات الشريفة عن المعصومين والتي سيتبين من خلالها عظمة الإنسان الشيعي وقيمته عن الله سبحانه وعند أوليائه عليهم السلام، والتي ستعكس للقارئ الكريم صورتهم التي أشرقت كالشمس بفضل ولائهم لائمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأن ما يقال عنهم من قبل أعدائهم ما هي إلا أكاذيب وأراجيف الهدف منها تحطيم صورتهم وكيانهم وقتل هيبتهم في نظر العالم، ولهم في ذلك الأسوة الحسنة بأئمتهم ومن قبلهم الأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقد اختلق ضدهم أهل النصب والضلال من زخرف القول ما يندى له الجبين ولا يقرهم عليه ذو مروءة ولا دين.

فقد ورد عن علقمة أنه سأل الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه بما نصه: (يا بن رسول الله، إن الناس ينسبوننا إلى عظائم الأمور، وقد ضاقت بذلك صدورنا. فقال «عليه السلام»: يا علقمة، إن رضا الناس لا يملك، وألسنتهم لا تضبط، فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه «عليهم السلام»؟

ألم ينسبوا يوسف «عليه السلام» إلى أنه همّ بالزنا؟

ألم ينسبوا أيوب «عليه السلام» إلى أنه ابتلي بذنوبه؟

ألم ينسبوا داود «عليه السلام» إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهواها؟ ...

ألم ينسبوا نبينا محمداً «صلى الله عليه وآله» إلى أنه شاعر مجنون؟

ألم ينسبوه إلى أنه هوى امرأة زيد ابن حارثة فلم يزل بها حتى استخلصها لنفسه؟

ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء...

وما قالوا في الأوصياء «عليهم السلام» أكثر من ذلك، ألم ينسبوا سيد الأوصياء «عليه السلام» إلى أنه كان يطلب الدنيا والملك، وأنه كان يؤثر الفتنة على السكون، وأنه يسفك دماء المسلمين بغير حلها... ألم ينسبوه إلى أنه «عليه السلام» أراد أن يتزوج ابنة أبي جهل على فاطمة «عليها السلام»، وأن رسول الله « صلى الله عليه وآله» شكاه على المنبر إلى المسلمين، فقال: إن عليا يريد أن يتزوج ابنة عدو الله على ابنة نبي الله... يا علقمة، ألم يقولوا لله عز وجل: إنه ثالث ثلاثة ؟ ألم يشبهوه بخلقه؟ ...ألم يقولوا: إنه جسم... يا علقمة، إن الألسنة التي تتناول ذات الله تعالى ذكره بما لا يليق بذاته كيف تحبس عن تناولكم بما تكرهونه! فاستعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين)(الأمالي للشيخ الصدوق ص ١٦٤ ـ ١٦٦ من تقبل شهادته).

إذن فاتهام الأولياء وتحطيم صورة الأوصياء والتحريض على المؤمنين والصالحين من قبل أعداء الدين ليس بالأمر الحادث ولا الجديد، فهو ديدن الكفار والمنافقين، ومن في قلبه مرض مع الأنبياء والأوصياء وأتباعهم من الصلحاء.

والأحاديث التي رويت في هذا الباب كثيرة حتى أن بعض الباحثين جمع ألف حديث في المؤمن ووضعه في كتاب مستقل مع أنه لم يأت على جميع ما ذكرته الروايات في هذا الصدد وقد اخترنا من هذه الأحاديث ما يتناسب وهذه الفقرة الشريفة من الزيارة وهي كالآتي:

عظمة المؤمن وكرامته عند الله سبحانه وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمرو بن أبي المقدام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (خرجت أنا وأبي حتى إذا كنا بين القبر والمنبر إذا هو بأناس من الشيعة فسلم عليهم ثم قال: إني والله لأحب رياحكم وأرواحكم فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد واعلموا أن ولايتنا لا تنال إلا بالورع والاجتهاد ومن ائتم منكم بعبد فليعمل بعمله، أنتم شيعة الله وأنتم أنصار الله وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون والسابقون في الدنيا والسابقون في الآخرة إلى الجنة، قد ضمنا لكم الجنة بضمان الله عز وجل وضمان رسول الله صلى الله عليه وآله والله ما على درجة الجنة أكثر أرواحا منكم فتنافسوا في فضائل الدرجات، أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات كل مؤمنة حوراء عيناء وكل مؤمن صديق، ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: لقنبر: يا قنبر ابشر وبشر واستبشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على أمته ساخط إلا الشيعة.

ألا وإن لكل شيء عزا وعز الإسلام الشيعة.

ألا وإن لكل شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة.

ألا وإن لكل شيء ذروة وذروة الإسلام الشيعة.

ألا وإن لكل شيء شرفا وشرف الإسلام الشيعة.

ألا وإن لكل شيء سيدا وسيد المجالس مجالس الشيعة.

ألا وإن لكل شيء إماماً وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة، والله لولا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عشبا أبدا والله لو ما في الأرض منكم ما أنعم الله على أهل خلافكم ولا أصابوا الطيبات ما لهم في الدنيا ولا لهم في الآخرة من نصيب، كل ناصب وإن تعبد واجتهد منسوب إلى هذه الآية {عاملةٌ ناصبةٌ ❖ تصلى نارًا حاميةً} فكل ناصب مجتهد فعمله هباء، شيعتنا ينطقون بنور الله عز وجل ومن خالفهم ينطقون بتفلت، والله ما من عبد من شيعتنا ينام إلا أصعد الله عز وجل روحه إلى السماء فيبارك عليها فإن كان قد أتى عليها أجلها جعلها في كنوز رحمته وفي رياض جنته وفي ظل عرشه وإن كان أجلها متأخرا بعث بها مع أمنته من الملائكة ليردوها إلى الجسد الذي خرجت منه لتسكن فيه، والله إن حاجكم وعماركم لخاصة الله عز وجل وإن فقراءكم لأهل الغنى وإن أغنياءكم لأهل القناعة وإنكم كلكم لأهل دعوته وأهل إجابته)(الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ٢١٢ - ٢١٤.فضل الشيعة).

وعن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (ألا وإن لكل شيء جوهراً وجوهر ولد آدم محمد صلى الله عليه وآله ونحن وشيعتنا بعدنا، حبذا شيعتنا ما أقربهم من عرش الله عز وجل وأحسن صنع الله إليهم يوم القيامة والله لولا أن يتعاظم الناس ذلك أو يدخلهم زهو لسلمت عليهم الملائكة قبلا والله ما من عبد من شيعتنا يتلو القرآن في صلاته قائما إلا وله بكل حرف مائة حسنة ولا قرأ في صلاته جالسا إلا وله بكل حرف خمسون حسنة ولا في غير الصلاة إلا وله بكل حرف عشر حسنات وإن للصامت من شيعتنا لأجر من قرأ القرآن ممن خالفه أنتم والله على فرشكم نيام لكم أجر المجاهدين وأنتم والله في صلاتكم لكم أجر الصافين في سبيله، أنتم والله الذين قال الله عز وجل:{ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانًا على سرر متقابلين} إنما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عينان في الرأس وعينان في القلب ألا والخلائق كلهم كذلك، ألا إن الله عز وجل فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم)) الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص٢١٤ - ٢١٥).

وجوب نصرة المؤمن والسعي في حوائجه ونصيحته

عن أبي بصير قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أيما رجل من أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة فلم يبالغ فيها بكل جهد فقد خان الله ورسوله والمؤمنين. قال أبو بصير قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تعني بقولك: والمؤمنين؟ قال: من لدن أمير المؤمنين إلى آخرهم) (المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج١ ص٩٨ عقاب من مشى في حاجة مؤمن ولم ينصحه).

وعن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن صلوات الله وسلامه عليه قال: (سمعته يقول: من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل)(الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٣٦٧ باب من منع مؤمنا شيئا عنده الحديث رقم ٤).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أيما رجل من شيعتنا أتى رجلا من إخوانه فاستعان به في حاجته فلم يعنه وهو يقدر إلا ابتلاه الله بأن يقضي حوائج غيره من أعدائنا، يعذبه الله عليها يوم القيامة)(ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص٢٥٠ عقاب من استعان به المؤمن ولم يعنه).

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (لا تستخف بفقراء شيعة علي عليه السلام فان الرجل منهم يشفع في مثل ربيعة ومضر)(ألف حديث لكاشف الغطاء ج١ص٩٤).

وعن أبي هارون عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: (قال لنفر عنده وأنا حاضر: ما لكم تستخفون بنا؟ قال: فقام إليه رجل من خراسان فقال: معاذ لوجه الله أن نستخف بك أو بشيء من أمرك فقال: بلى إنك أحد من استخف بي، فقال: معاذ لوجه الله أن أستخف بك، فقال له: ويحك أو لم تسمع فلانا ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملني قدر ميل فقد والله أعييت، والله ما رفعت به رأسا ولقد استخففت به ومن استخف بمؤمن فينا استخف وضيع حرمة الله عز وجل)(الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ١٠٢مدح لحسان بن ثابت وذم لبعض الصحابة) .

عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (تنافسوا في المعروف لإخوانكم، وكونوا من أهله، فان للجنة بابا يقال له: المعروف، لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا، وإن العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله عز وجل به ملكين: واحد عن يمينه، وآخر عن شماله، يستغفران له ربه يدعوان له بقضاء حاجته، ثم قال: والله لرسول الله صلى الله عليه وآله أسر بحاجة المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة) (وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٦ ص٣٥٩ باب استحباب قضاء حاجة المؤمن).

عن الحسين بن عبد الرحيم، قال، قال أبو الحسن عليه السلام لعلي بن يقطين: (اضمن لي خصلة أضمن لك ثلاثا فقال علي: جعلت فداك وما الخصلة التي أضمنها لك؟ وما الثلاث اللواتي تضمنهن لي. قال، فقال أبو الحسن عليه السلام: الثلاث اللواتي أضمنهن لك: أن لا يصيبك حر الحديد أبدا بقتل، ولا فاقة، ولا سجن حبس، قال، فقال علي: وما الخصلة التي أضمنها لك؟ قال، فقال: تضمن أن لا يأتيك ولي أبدا إلا أكرمته، قال فضمن علي الخصلة وضمن له أبو الحسن الثلاث) (اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ج٢ ص ٧٣١ - ٧٣٢).

عن شعيب العقرقوفي قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأصحابه: اتقوا الله وكونوا إخوة بررة، متحابين في الله، متواصلين، متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه)(الكافي للشيخ الكليني ج ٢ ص ١٧٥ باب التراحم والتعاطف الحديث رقم ١).

ابتناء التوكل على حصر المؤثر في الله تعالى

الحلقة الثانية

فلما سمع السائل السالك من العلم ذلك، استشعر قصور نفسه وفتح بصر بصيرته، بعد الابتهال إلى ربه، فانكشف له القلم الإلهي، فإذ هو كما وصفه العلم، ما هو من خشب ولا قصب، ولا له رأس ولا ذنب، وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر أصناف العلم، فشكر العلم وودعه، وسافر إلى حضرة القلم الإلهي، وقال له: (أيها القلم! ما لك تخط على الدوام في قلوب من العلوم ما تبعث به الإرادات إلى إنهاض القدرة وإشخاصها وصرفها إلى المقدورات؟).

فقال له (القلم الإلهي): (أفنسيت ما رأيت في عالم الملك وسمعته من جواب القلم الآدمي حيث أحالك إلى اليد؟ فجوابي مثل جوابه، فإني مسخر تحت يد الله تعالى الملقبة: بـ(يمين الملك)، فاسأله عن شأني فإني في قبضته وهو الذي يرددني، وأنا مقهور مسخر، فلا فرق بين القلم الإلهي والقلم الآدمي في معنى التسخير، وإنما الفرق في ظاهر الصورة).

فقال السائل: (من يمين الملك؟).

قال القلم: (أما سمعت قوله تعالى: ((وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ))[١]

قال: (نعم! سمعته).

قال: (والأقلام أيضا في قبضته وهو الذي يرددها).

فسافر السائل من عند القلم إلى اليمين، حتى شاهده، ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم، ورأى أنه يمين لا كالأيمان، ويد لا كالأيدي، وأصبع لا كالأصابع، فرأى القلم متحركاً في قبضته، فسأله عن سبب تحريكه القلم.

فقال: (جوابي ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة، وهو الحوالة على القدرة، إذ اليد لا حكم لها في نفسها، وإنما محركها القدرة).

فسافر إلى عالم القدرة ورأى فيها من العجائب ما استحقر لأجلها ما قبلها فسألها عن سبب تحريكها اليمين.

فقالت: (إنما أنا صفة فاسأل القادر، إذ العهدة على الموصوف دون الصفة).

وعند هذا كاد أن يزيغ قلب السائل، وينطلق بالجرأة لسان السؤال، فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء سرادقات الحضرة: ((لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ))[٢]

فغشيته دهشة الحضرة، فخر صعقاً في غشيته مدة، فلما أفاق: (سبحانك! ما أعظم شأنك وأعز سلطانك، تبت إليك وتوكلت عليك، وآمنت بأنك الملك الجبار الواحد القهار، فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا ألوذ إلا بعفوك من عقابك، وبرضاك من سخطك، وما لي إلا أن أسألك وأتضرع إليك، وأقول:

((ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى))[٣]

لأعرفك.

((وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى))[٤]

لأثني عليك.

فنودي من وراء الحجاب: (إياك أن تطمع في الثناء، فإن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم ما زاد في هذه الحضرة على أن قال: (سبحانك لا أثني ثناء عليك كما أنت أثنيت على نفسك).

وإياك أن تطمع في المعرفة، فإن سيد الأوصياء قال: (العجز عن درك الإدراك إدراك، والفحص عن سر ذات السر إشراك).

فيكفيك نصيباً من حضرتنا أنك عاجز عن ملاحظة جلالنا وجمالنا، وقاصر عن إدراك دقائق حكمنا وأفعالنا).

فعند هذا رجع السائل السالك، واعتذر عن أسئلته ومعاتبته، وقال للقدرة واليمين والقلم والعلم والإرادة والقدرة وما بعدها: (اقبلوا عذري وانكشف لي أن المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار وما أنتم إلا مسخرون تحت قهره وقدرته، مرددون في قبضته، وهو الأول بالإضافة إلى الوجود، إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحداً بعد واحد، وهو الآخر بالإضافة إلى سير المسافرين إليه، فإنهم لا يزالون مترقين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الانتهاء إلى حضرته، فهو أول في الوجود وآخر في المشاهدة وهو الظاهر بالإضافة إلى من يطلبه بالسراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت، وهو الباطن بالإضافة إلى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لإدراكه بالحواس).

وهذا هو التوحيد في الفعل للسالكين، الذين انكشف لهم وحدة الفاعل بالمشاهدة واستماع كلام ذرات الملك والملكوت، وهو موقوف على الإيمان بعالم الملكوت والتمكن من المسافرة إليه واستماع الكلام من أهله.

ومن كان أجنبياً من هذا العالم ولم يكن له استعداد الوصول إليه ولم يمكنه أن يسلك السبيل الذي ذكرناه، فينبغي أن يرد مثله إلى التوحيد الاعتقادي الذي يوجد في عالم الشهادة، وهو أن يعلم ببعض الأدلة وحدة الفاعل، مثل أن يقال له: إن كل أحد يعلم أن المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين، فإله العالم ومدبره واحد، إذ:

((لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا))[٥]

فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة، فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق بقدر عقله واستعداده، وقد كلفوا الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم.

ثم الحق أن هذا التوحيد الاعتقادي إذا قوي يصلح أن يكون عماداً للتوكل وأصلاً فيه، إذ الاعتقاد إذا قوي عمل عمل الكشف في إثارة الأحوال إلا أنه في الغالب يضعف ويتسارع إليه الاضطراب، فيحتاج إلى من يحرسه بكلامه، وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه، فلا يخاف عليه شيء من ذلك، بل لو كشف له الغطاء لما ازداد يقيناً وإن كان يزداد وضوحاً.

(تنبيه) اعلم أن ما يبتني عليه التوحيد المذكور، أعني كون جميع الأشياء من الأسباب والوسائط مقهورات مسخرات تحت القدرة الأزلية ظاهر.

وسائر ما أوردنا في هذا المقام مما ذكره أبو حامد الغزالي وتبعه بعض أصحابنا (ولا إشكال فيه إلا في أفعال الإنسان وحركاته).

فإن البديهة تشهد بثبوت نوع اختيار له، لأنه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء، مع أنه لو كان مسخراً مقهوراً في جميع أفعاله وحركاته، لزم الجبر ولم يصح التكليف والثواب والعقاب.

ولتحقيق هذه المسألة موضع آخر، ولا يليق ذكرها هنا، والحق أن كل ما قيل فيها لا يخلو عن قصور ونقصان، والأولى فيها السكوت والتأدب بآداب الشرع.

ومنها:

الخواطر النفسانية والوساوس الشيطانية

اعلم أن الخاطر ما يعرض في القلب من الأفكار فإن كان مذموماً داعياً إلى الشر سمي (وسوسة)، وإن كان محموداً داعياً إلى الخير سمي (إلهاماً).

وتوضيح ذلك: إن مثل القلب بالنسبة على ما يرد عليه من الخواطر مثل هدف تتوارد عليه السهام من الجوانب، أو حوض تنصب إليه مياه مختلفة من الجداول، أو قبة ذات أبواب يدخل منها أشخاص متخالفة، أو مرآة منصوبة تجتاز إليها صور متباينة.

فكما أن هذه الأمور لا تنفك عن تلك السوانح، فكذا القلب لا ينفك عن واردات الخواطر.

فلا تزال هذه اللطيفة الإلهية مضماراً لتطاردها ومعركة لجولانها تزاحمها، إلى أن يقطع ربطها عن البدن ولذاته، ويتخلص عن لدغ عقارب الطبع وحياته.

ثم لما كان الخاطر أمراً حادثاً فلابد له من سبب، فإن كان سببه شيطاناً فهو الوسوسة، وإن كان ملكاً فهو الإلهام.

وما يستعد به القلوب لقبول الوسوسة يسمى إغواءً وخذلاناً، وما يتهيأ به لقبول الإلهام يسمى لطفاً وتوفيقاً.

وإلى ذلك أشار سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (في القلب لمتان: لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمة من الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق).

وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن).

أقسام الخواطر ومنها الالهام

الخاطر ينقسم إلى ما يختلج بالبال من دون أن يكون مبدأ للفعل: وهي الأماني الكاذبة والأفكار الفاسدة، وإلى محرك الإرادة والعزم على الفعل، إذ كل فعل مسبوق بالخاطر أولاً، فمبدأ الأفعال الخواطر، وهي تحرك الرغبة والرغبة العزم، والعزم النية، والنية تبعث الأعضاء إلى الفعل، (والثاني) كما عرفت إن كان مبدأ للخير يكون إلهاماً ومحموداً، وإن كان مبدأ للشر يكون وسواساً ومذموما، (والأول) له أنواع كثيرة:

(منها) ما يرجع على التمني، سواء كان حصول ما يتمناه ممكناً أو محالاً، وسواء كان المتمنى حسناً محموداً أو قبيحاً مذموماً، وسواء كان عدمه مستنداً إلى قضاء الله وقدره أو إلى تقصيره وسوء تدبيره فيخطر بباله أنه يا ليت لم يفعل كذا أو فعل كذا.

(ومنها) ما يرجع على تذكر الأحوال الغالبة، إما بدون اختياره أو مع اختيار ما، بأن يتصور ما له من النفائس الفانية فيستر به، أو يتخيل فقده فيحزن لأجله، أو يتفكر في ما اعتراه من العلل والأسقام واختلال أمر المعاش وسوء الانتظام، أو يذهب وهمه إلى حساب المعاملين أو جواب المعاندين، وتصوير إهلاك الأعداء بالأنواع المختلفة من دون تأثير وفائدة.

(ومنها) ما يرجع إلى التطير، وربما بلغ حداً يتخيل كثيراً من الأمور الاتفاقية الدالة على وقوع مكروه بنفسه أو بما يتعلق به، ويضطرب بذلك، وإن لم تكن مشهورة بذلك عند الناس، وربما حدثت في القوة الوهمية خباثة وشيطنة تذهب غالباً إلى ما يؤذيه ويكرهه ولا يذهب إلى ما يريده ويسره، فيتخيل ذهاب أمواله وأولاده وابتلاءه بالأمراض والأسقام ووصول المكروه من الغير ومغلوبيته من عدوه، وربما حصل لنفسه نوع اذعان لهذه التخيلات لمغلوبية العاقلة للواهمة.

فيعتريه نوع اضطراب وانكسار، وقلما يذهب مثل هذه القوة الوهمية فيما يشاء ويريده من تخيل الغلبة وحصول التوسعة في الأموال والأولاد، بحيث يحصل لنفسه نوع اذعان لها، فتنبسط وتهتز.

وهذا شر الوساوس وأردؤها، وربما كان المنشأ لبعضها نوع اختلال في الدماغ، وجميع الأنواع المذكورة بأقسامها مفسدة للنفس يحدث فيها نوع ذبول وانكسار ويصدها عما خلقت لأجله.

(ومنها) ما يرجع إلى التفاؤل، وهذا ليس مذموماً، وقد ورد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنه يحب التفاؤل، وكثيراً ما يتفاءل ببعض الأمور).

(ومنها الوسواس في العقائد، بحيث لا يؤدي إلى الشك المزيل لليقين، فإنه قادح في الإيمان كما تقدم، ومرادنا بالوسوسة وحديث النفس في العقائد هنا ما لا يضر بالإيمان ولا يؤاخذ به.

(تذنيب) قد ظهر مما ذكر: أن أكثر جولان الخاطر إنما يكون في فائت لا تدارك له، أو في مستقبل لابد وأن يحصل منه ما هو مقدر، وكيف كان هو تضييع لوقته، إذ آلة العبد قلبه وبضاعته عمره، فإذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنساً بالله أو عن فكر يستفيد معرفة لله ليستفيد بالمعرفة حباً لله، فهو مغبون.

وهذا إن كان فكره ووسواسه في المباحات، مع أن الغالب ليس كذلك، بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات، إذ لا يزال ينازع في الباطن كل من فعل فعلاً مخالفاً لغرضه، أو من يتوهم أنه ينازعه ويخالفه في رأيه، بل يقدر المخالفة من أخلص الناس في حبه حتى في أهله وولده، ثم يتفكر في كيفية زجرهم وقهرهم وجوابهم عمّا يتعللون به في مخالفتهم فلا يزال في شغل دائم مضيع لدينه ودنياه.[٦]

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٧.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.
(٣) سورة طه، الآية: ٢٥.
(٤) سورة طه، الآية: ٢٧.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٦) جامع السعادات للمحقق النراقي: ج١، ص١٠٦ - ١١١.

شروط الإمام الخاصة وصفاته

قبل كل شيء ينبغي أن نلتفت إلى نقطة مهمة حيث: يستفاد من القرآن المجيد بوضوح أن مقام (الإمامة) ارفع مقام يمكن أن يصل إليه إنسان، أرفع حتى من مقام (النبوة) و(الرسالة) فنحن في حكاية النبي إبراهيم، محطم الأصنام، نقرأ:

((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ))[1]

أي أن إبراهيم، بعد أن طوى مرحلة النبوة والرسالة واجتاز بنجاح مختلف ما امتحنه به الله، ارتقى إلى هذه المرحلة الرفيعة، مرحلة مقام الإمامة الظاهرية والباطنية والمادية والمعنوية في قيادة الناس.

نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم كان، بالإضافة إلى مقام النبوة والرسالة، في مقام إمامة الخلق وقيادتهم، وهناك عدد آخر من الأنبياء بلغوا هذه المرحلة الرفيعة أيضاً.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى أننا نعلم أن الشروط والصفات اللازمة لتحمل مسؤولية منصب من المناصب تتناسب مع الواجبات والمسؤوليات التي ينبغي على المرء تنفيذها وتحملها، وكلما كان المنصب أرفع ومسؤولياته أصعب، كانت الشروط والصفات اللازم توفرها في المنتخب لذلك المقام أهم وأثقل.

فمثلاً يشترط الإسلام في من يتسنم منصب القضاء وحتى الشاهد وإمام الجماعة، أن يكون عادلاً.

فإذا كان الذي يريد أن يدلي بشهادة، أو الذي يريد أن يقرأ الحمد والسورة، يجب أن يكون عادلاً، فما بالك بالشروط اللازمة لبلوغ مقام الإمامة الخطير الرفيع!(٢)

للإمامة عدة شرائط حددها التشريع الإسلامي فلا يمكن لشخص أن يخترق صفوف الأمة الإسلامية ويعلن نفسه إماماً ما لم تتوفر فيه هذه المواصفات التي يستحيل تواجدها في شخصية عادية غير مدعمة من الغيب وبذلك تتوفر الحصانة التامة للقيادة الإسلامية الأمينة على مصالح الإسلام والمسلمين من أن يدعيها غير كفوء أو يعتلي منصبها الإلهي شخص منتفع بالإضافة إلى أن هذه الحصانة تحفظ القيادة الإسلامية من الوقوع تحت تأثيرات الدنيا والشهوات وبالتالي تكون قيادة أمينة على الشريعة وحريصة على مصالح الناس في ظل الإسلام ويستحيل عليها الانحراف فلو طالعنا كل شرائط القيادات في العالم لم نجد على الإطلاق مثل شرائط الإمامة عندنا ومن هنا تظهر أسباب الانحراف والتغيير من قائد لآخر على عكس قيادة الإمام بل أكثر من ذلك أن القيادة الإسلامية النائبة عن الإمام المعصوم في زمن غيبته كزماننا الحالي فإنها محصنة بشرائط دقيقة يصعب زحزحتها عن مواقفها المبدئية وأنها لمفخرة خالدة للإسلام أن يسن هذا المشروع القيادي عبر الزمان وهو محصن تحصيناً حديدياً من الاختراق أو الانحراف أو الخروج عن المبدئية وهذا الكلام يأتي في محله.

إن من أهم الشروط ـ على وجه العموم ـ لازمة التوفر في الإمام كالتالي:

التعيين الإلهي

إن الإمامة منصب إلهي والتصدي له بالمعنى الشرعي الشامل لدينا لم يتحقق إلا بالتعيين الإلهي فالنص الشرعي على الإمامة من أبرز شرائطها، والعناية الإلهية ما تركتنا نتخبط في ظلمات الحياة بل وضحت لنا السبيل الهادي فبعد النبي صلى الله عليه واله وسلم وهو صاحب الولاية المطلقة يكون منصب الأئمة الاثني عشر عليهم السلام هم ولاة أمر المسلمين في أموالهم وأعراضهم ومصيرهم فلو تتبعنا منصب الخلافة في أدوار التاريخ الإسلامي لما وجدنا ممارسة الدور القيادي للحاكمين كما يريده الله ونفهمه نحن من منصب الإمام والحال كان التسلط على إمارة المسلمين هي شارتهم ليحكموا من دون رعاية لتربية المجتمع وتعليم الناس وقيادتهم كيف يفعل الحاكم ذلك وهو يحكم المسلمين بعقلية الأمير المتجبر، فاقد لشرائط التقوى والإيمان والخلافة الشرعية وأدنى مستويات العدالة ولكن ومع وجود الأمارة المتسلطة كانت بؤر النور والهداية تأخذ طريقها في قيادة المجتمع لتملأه عدلاً وخيراً وصلاحاً.

فكان يشعر المسلمون بقيادة الأئمة لهم روحياً ونفسياً بالرغم من إبعادهم عن المسرح السياسي هذا الشعور كان ولا يزال في وجدان المسلمين جميعاً.

فالقيادة الشاملة والخلافة الصحيحة تتجسد في إمامة المعصومين فهم يرشدون الناس إلى العقل عبر الحجج القرآنية والفطرية ويمنعون الانحراف ويحاربون رأس الفتنة ويضحون من أجل القيم الإسلامية وراية لا إله إلا الله محمد رسول الله فحسب، وهذه الصفات لا نراها في خلفاء العباسيين مثلاً أو أية خلافة أخرى، بينما أئمة أهل البيت عليهم السلام بالرغم من عدم الممارسة الشكلية لإدارة المسلمين لكنهم كانوا هم الولاة الشرعيين للمسلمين وتسجل لنا أحداث التاريخ أكثر من موقف مع أكثر من خليفة شكلي كان يتحير في إجابة المسلمين أو الوافدين فكان يحيل الأمر إلى أهله وهم أئمة الهدى عليهم السلام.

عموماً نلاحظ أن هذا المنصب الإلهي المتميز عرف من الشرائط الرئيسية للإمامة عبر النص الشرعي أولاً وعبر

التصدي الفعلي لقضايا الإسلام والمسلمين من قبل أئمة الهدى ثانياً.

أما النص الشرعي، فقد ورد في القرآن العزيز ذلك والنبي الأكرم وضع الأمر في أحاديثه أيضاً فكثير من الآيات والأحاديث التي تشخص الإمامة بالصفات المطلوبة وتعين الإمامة في أشخاص معنيين بأسمائهم وقد مر في البحوث السابقة قسم منها ونذكر ـ ههنا ـ بعضها على مستوى التذكير لا التفصيل:

قال تعالى:

((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ))[٣]

فقد اتفق المفسرون والمحدثون من جميع الفرق الإسلامية أنها نزلت في الإمام علي عليه السلام حينما تصدق بخاتمه على المسكين وهو في أثناء الصلاة بحضور ثلة من الصحابة وهو مذكور في الصحاح الستة وروى ذلك السيوطي والرازي والزمخشري وابن عباس وأبو ذر وجابر بن عبد الله الأنصاري.. وأهل اللغة كذلك يتفقون على أن معنى الولي لغة يعني الأولى بالتصرف المرادف للإمام والخليفة.

وقال تعالى:

((ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا))[٤]

يروي الرواة أنها نزلت في غدير خم بعد تعيين الإمام علي عليه السلام خليفة على المسلمين بأمر الله وبنص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما أخذ بضبعي علي عليه السلام يوم الغدير لم يتفرق الناس حتى نزلت هذه الآية فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء الرب برسالتي وبالولاية لعلي من بعدي..».

وقال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) المراد بحبل الله هم أئمة أهل البيت كما ورد في كثير من الأحاديث وفي كتب التفسير أيضاً فالقرآن لا يفترق عنهم ومن تمسك بهم تمسك بالقرآن فهم عدل القرآن وترجمانه.

وسيأتي تفصيل بعض الآيات في حديث العصمة للأئمة عليهم السلام وهناك آيات كثيرة في هذا الشأن نذكر بعضها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث متواتر وبطرق عديدة:

«إني قد تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي وأحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا علي! بنا ختم الله الدين كما بنا فتحه وبنا يؤلف الله بين قلوبكم بعد العداوة والبغضاء».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر:

«إنما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

وعند ذكر آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الإمام علي عليه السلام:

«هم موضع سره، وملجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه».

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة في الجنة والباقون في النار».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة».

وأما رواية إبراهيم بن محمد الحمريني لحديث الغدير مسنداً من سليم بن قيس في حديث طويل.. يذكر فيه فضائل الإمام علي عليه السلام وأهل بيته أرى لزاماً أن أنقل ما يفيدنا منه في هذا المجال ففي غدير خم خطب صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«أيها الناس إن الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس مكذبي فأوعدني لأبلغها أو يعذبني... أيها الناس أتعلمون إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين أنا أولى بهم من أنفسهم؟».

قالوا: بلى يا رسول الله قال:

«... من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فقام سلمان فقال: يا رسول الله ولاء ماذا؟ فقال:

«ولاء كولائي من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه».

فأنزل الله (اليوم أكملت لكم...) فكبر رسول الله وقال:

«الله أكبر تمام نبوتي وتمام دين الله ولاية علي بعدي».

فقام أبو بكر وعمر فقالا: يا رسول الله هذه الآيات خاصة في علي؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«بلى فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة».

قالا: يا رسول الله بينهم لنا؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«علي أخي ووزيري ووارثي ووصيي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن من بعدي ثم ابنه الحسن ثم الحسين ثم تسعة من ولد ابني الحسين واحداً بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا علي الحوض».

أكتفي بهذا المقتضب من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في بيان مسألة الإمامة بأنها قضية إلهية محددة من قبل الله سبحانه فالذي يسلك سبيل أئمة أهل البيت إنما يتعبد بالنص الإلهي المقدس وبنص الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في مسألة الخلافة وهذا التعبد هو المطلوب أساساً لأننا توصلنا بالأدلة العقلية والنقلية بعدم إمكانية ترك هذه المسألة الحساسة دون حل ولن نجد حلاً سوى ما رويناه من نصوص مقدسة في تعيين أئمة أهل البيت عليهم السلام خلفاء وأمناء على الأمة والرسالة.

فإذن التعيين لهذا المنصب الإلهي مخصص لأئمة أهل البيت عليهم السلام دون سواهم لأنهم هم المختارون من قبله تعالى لقيادة هذه الأمة الإسلامية.[٥]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) سلسلة أصول الدين للشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ص٢٧ ـ ٢٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) موقع دجلة (www.dijlh.net).

المولى فتح علي السلطان آبادي

الزاهد الناسك التقي الفاضل المولى فتحعلي السلطان آبادي، ثمّ العسكري، ثم الحائري.

هو فتحعلي بن المولى حسن العراقي السلطان آبادي، ثمّ العسكري، وكان من أزهد علماء عهده بل أهل عصره وقد بلغ في الورع والتقوى والزهد والعبادة مقاماً لا تحوم حوله الأفكار ويضرب به المثل وكان حجة الشيعة في وقته وكان وجيهاً، مقبولاً، جليل الشأن، عالي المقام واعترف له جلّ معاصريه وأعلام عهده وأساتذة وقته، بالورع والزهد والتعبد والتقوى والمجد والنبالة وقدس النفس وكرامة الأخلاق.

وربما ينسب إليه الكرامات، كما شهد به صريحاً ثقة الإسلام المحدث النوري قدس سرهما وكفى في جلالته ذلك.

قال المحدث الجليل العلاّمة النوري في كتابه (دار السلام):

(صاحب الكرامات الشريفة والمقامات المنيفة، أعرف من رأيناه بطريقة أئمة الهدى وأشدهم تمسكاً بالعروة الوثقى... الخ)، قرأ المترجم في سامراء على العلامة الأستاذ الإمام السيد محمد حسن الشيرازي العسكري وكان من عَمَد تلاميذه وأركان حوزته الشريفة، وجيهاً عنده وكان إمامة الجماعة في عهده كالمنحصر فيه في سامراء بأمر أستاذه العلاّمة الشيرازي وتعيينه وكان يصلي معه جلّ مَن فيها من أهل الجماعة من الشيعة من العلماء الأعلام والمحصلين وغيرهم من الطبقات والزوار ونحوهم.

ثم انتقل المترجم منها بعد ارتحال أستاذه العلاّمة الشيرازي إلى كربلاء المشرفة في صحبة حضرة العلامة الأستاذ السيد إسماعيل صدر من أعظم تلامذة الإمام الشيرازي مع جماعة أخرى من أصحاب سامراء ـ على ما مرّ ذكره في ترجمة السيد إسماعيل صدر من الكتاب ـ وكان متشرفاً بمجاورة تلك البقعة المقدسة، حتّى أجاب فيها داعي ربّه عن سن نيف وسبعين في سنة ١٣١٧ ألف وثلاثمائة وسبعة عشر ونقل جنازته إلى الغري ودفن في بعض الحجرات من الصحن الشريف العلوي سلام الله عليه.

قال المترجم رحمه الله: حينما كنتُ في بلدي سلطان آباد عزمتُ في بعض السنين على بناء مصنع لماء الشُرب (آب أنبار) لعامة أهل المحل ولم يكن عندي شيء من المال فهممتُ أن أشرع في العمل متوكّلاً على الله وأحثّ أهل الخير بالإعانة والمساعدة، فلمّا حان وقت الشروع في العمل عزم جماعة من الأخيار من أهل البلاد لزيارة مشهد الرضا عليه السلام ورغبوني في المصاحبة معهم ووعدوا لي تحمل مشقات السفر عني من كلّ جهة.

فتزودتُ أنا في المسير معهم فذاكرني وقتئذٍ من شاركني في العزم لعمل المصنع، إنّك لو فارقتني أنت لأختل الأمر ولا يقوم لهذا العزم المذكور غيرك، فترك المسافرة والزيارة حينها للاشتغال بالعمل، لما فيه صلاح العامة ورفاههم وفائدتهم إنما هو أحسن وأفضل وأولى، فرأيت الاشتغال به أجمل لأنّه أتقى وأبقى وأنفع وأنمى، فتركتُ العزم بالمسافرة وشرعتُ في البناء وفارقوني الجماعة على سبيلهم، حتى مضى من المدة ما قرب ورودهم للمشهد، فرأيتُ ليلة في المنام كأنّي عزمتُ لزيارة المشهد وطويتُ تلك المسافة بلا نصب ولا تعب، حتّى وصلتُ إليها فلمّا وصلتُها دخلتُ عمارة هي تجاه الحرم الشريف، بمنزلة الرواق في سائر المشاهد المشرفة ورأيت جماعة كثيرة من الناس زاحمين من الكثرة وباب الحرم مسدود عليهم لا أذن لأحد منهم في الدخول بالحضرة المقدسة وبقيتُ أنا مع الجماعة حيارى في أمري.

فإذا بالباب قد انفتح وخرج منه شخص جليل الزيّ، فناداني باسمي وإسم أبي وبلدي ونادى أيضاً باسم الشيخ مولى محمد علي الأستر الآبادي وقال أدخلا فقد أذن لكما خاصة، فرأيتُ حينئذٍ رجلاً قد خرج من بين الجماعة المجتمعين وعليه عمامة بيضاء ولحية يميل على الحمرة، كأنّي أراه يقظة ورسمتُ شمائله في ذهني كاملاً، فدخلنا معه إلى الحضرة المقدسة وقضينا ما كنّا نتمناه فيها من الأعمال والدعاء، حتّى خرجنا منها والناس في المكان المزبور مجتمعون على ما كانوا عليه من الزحام والانتظار والحيرة، فحينئذ جاء لهم الإذن العام في الدخول جميعاً ورأيتُ أنا بعد الخروج منها الجماعة المتقدمة من أهل بلدي بين الناس أيضاً، حتّى سألوني بأني متى قدمت فقلتُ لهم خرجتُ بعدكم ولكن قد منّ الله تعالى عليّ بالزيارة قبلكم كما تروني.

قال رحمه الله انتبهتُ أردتُ أن أتفقد من حال المولى المذكور ولكن لم أجد إلى معرفة ذلك من سبيل، حتّى قضى من الزمان ما كان أن يقضى، فتشرفت أنا بتقبيل العتبة العلوية المقدسة وحصل لي فيها أنس مع بعض المحصلين من أهل استر آباد، حتى ذكر بعضهم في يوم من الأيام أنّه بلغه مكتوب من بلدهم وفيه موت المرحوم المولى محمد علي المقدس، فتذكرتُ حينئذٍ ما رأيته من المنام ورأيتُ أنّ شمائله مركوز في ذهني كاملاً، فكأنّي رأيته قبيل الحيل، ووقع في قلبي أن يكون هو هو، فقلتُ له أليس هو كان شمائله كذا وكذا فقالوا نعم هو هذا وأينَ رأيتَه أنت؟ فقلت والله ما رأيتُه إلا في المنام، ثمّ تفحصتُ عن أحواله وأخلاقه وما كان عليه من مزايا عيشه في امتداد حياته، فأثنوا عليه بالجميل وحسن التقدير في روعه وتقاه وكرامة شيمه وسجاياه وقدسه وطهارة ذيله في حياته وقبوله العام هو جلالة قدره.

فلما سمعتُ بذلك قوي يقيني بصدق المنعم وحمدتُ الله تعالى فيما وهب عليّ من الإنعام[1]

دراسة المولى فتحعلي السلطان آبادي

كان من تلامذة الشيخ الأنصاري البارزين ومن بعد وفاته انتقل إلى بحث السيد الشيرازي وفي نفس الوقت كان عارفاً وزاهداً، يقول المحدث النوري عنه في كتابه دار السلام: (عالم عامل عارف سالك طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الكرامات الشريفة والمقامات العالية)[2].

وقد قال عنه الشيخ عباس القمي قدس الله نفسه الزكية: «الشيخ العالم الجليل، والمفسر عديم المثيل، العالم الرباني، وأبو ذر الثاني، مجمع التقوى والورع واليقين، ومخزن الأخبار وتفسير آيات القرآن، صاحب الكرامات الباهرة، حشره الله مع العترة الطاهرة»[3].

وقال الشيخ النوري قدس سره في دار السلام: «حدثني العالم العامل ومن اليه ينبغي شد الرواحل، مستخرج الفوائد الطريفة والكنوز المخفية من خبايا الكتاب المجيد، ومستنبط الفرائد اللطيفة والقواعد المكنونة الالهية من البئر المعطلة والقصر المشيد، رأس العارفين وقائد السالكين الى اسرار شريعة سيد المرسلين، جمال الزاهدين، وضياء المسترشدين، صاحب الكرامات الشريفة، والمقامات المنيفة، أعرف من رأيناه بطريقة ائمة الهدى، واشدهم تمسكاً بالعروة الوثقى

من النعم التي نسأل عنها يوم ينادي المنادي، شيخنا الاعظم ومولانا الاكرم المولى فتح علي السلطان آبادي...».

وقال عنه: «شيخ الاتقياء، واونق القرى وابهجها التي امرنا بالسير فيها ليالي واياماً آمنين من فتك الاعداء، معدن المعالي والفضائل التي قصرت عنها ايدي الراسخين من العلماء شيخنا الاجل الاكمل المولى فتح علي السلطان آبادي جعله الله تعالى في كنفه...»[4]

قال السيد الحكيم قدس سره:

«حدث بعض الاعاظم دام تأييده، انه حضر يوماً منزل الآخوند ملا فتح علي قدس سره مع جماعة من الأعيان منهم السيد اسماعيل الصدر قدس سره والحاج النوري صاحب المسترك قدس سره والسيد حسن الصدر دام ظله، فتلا الآخوند قدس سره قوله تعالى:

((وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ))

ثم شرع في تفسير قوله تعالى فيها: (حبب اليكم...)، وبعد بيان طويل فسرها بمعنى لمّا سمعوه منه استوضحوه، واستغربوا من عدم انتقالهم اليه قبل بيانه لهم، فحضروا عنده في اليوم الثاني، ففسرها بمعنى آخر غير الاول، فاستوضحوه ايضاً، وتعجبوا من عدم انتقالهم اليه قبل بيانه، ثم حضروا عنده في اليوم الثالث، فكان مثل ما كان في اليومين الاولين، ولم يزالوا على هذه الحال كلما حضروا عنده يوماً ذكر لها معنى الى مايقرب من ثلاثين يوماً، فذكر لها مايقرب من ثلاثين معنى، وكلما سمعوا منه معنى استوضحوه، وقد نقل الثقات لهذا المفسر كرامات قدس الله روحه[5]

وكان ينوب عن الميرزا السيد حسن الشيرازي قدس سره في الصلاة بالناس، وكان الميرزا يقتدي به، ويأمر الناس بالاقتداء به، ورجع بعد وفاة الميرزا الشيرازي الى كربلاء وسكن اليه الناس.[6]

علمه رحمه الله

اما علمه فاحسن فنه معرفة دقائق الآيات ونكات الاخبار بحيث تتحير العقول عن كيفية استخراج تلك الجواهر عن كنوزها و ترجع الابصار حاسرة عن ادراك طريقته في استنباط اشاراتها ورموزها لم يسأل قط عن آية وخبر الاّ وعنده منهما من الوجوه والاحتمالات والبواطن والتأويلات ما تتعجب منه العقول، ولم يحم حوله لطائف افكاره الفحول كانه فرغ من التأمل والنظر فيه في الان وعكف عليه فكرته برهة من الزمان؛ كل ذلك بما لايخالف شيئاً من الظواهر والنصوص ولايختلط بمزخرفات جماعة هم للدين لصوص وهو مع ذلك ضنين باظهاره مصر على كتمانه.

واما العمل فهو دائم الذكر طويل الصمت والفكر، قانع من الدنيا من المآكل والملابس وغيرها بأدون ما يمكن التعيش به مع شدة الكياسة في ماخذه لاستجماعه شرايطه التي تاتي في الباب الثاني مواظب لكل سنة يتمكن منها مؤد لميسور دقائق حقوق الاخوان التي سنفصلها اشد من رأيناه بلاء في البدن وغيره؛ واشكرهم بمراتبه عليه واصبرهم فيه مارأى متكلما في شيء من امور الدنيا الا بعد ملاحظة رجحان كثير ولامشيراً الى احد بسوء في فعله او قوله في حيوته او مماته ولم يذكرهم الاّ بخير.

وبالجملة فوجوده آية من آيات وجود الائمة عليهم السلام الذين هم الآية الكبرى، وعمله وطريقته مثبت لامامتهم وجداناً من غير ترتيب صغرى ولا كبرى، ويذكّر الله رؤيته، ويزيد في العلم منطقه، ويرغب في الآخرة عمله.

ما قام احدٌ من مجلسه الاّ بخير مستفاد جديد وشوق الى الثواب، وخوف من الوعيد. لم يتعش قط بلا ضيف، ولم ير منه اذى على احد ولا حيف، لايختار من الاعمال المندوبة الاّ أتعبها، ولايأخذ من السنن الاّ احسنها. افعاله منطبقة على كلامه، وكلامه مقصور على ما خرج من أمامه، وهو دام علاه سبب تأليف هذا الكتاب...»[7].

من وصاياه

من وصايا الحاج ملا فتح علي سلطان ابادي صاحب المقامات العاليات والدرجات الرفيعات في العلم والعمل والكمالات كانت إلى آية الله الحاج اقا منير البروجردي وهي بقراءة زيارة عاشوراء.

روي عن آية الله الفقيد الحاج السيد مرتضى الموحد الابطحي: في قضية تحريم التدخين سعى آيات الله وعلماء مسجد شاهي وهم: الحاج اقا نور الله واقا نجفي واقا شيخ محمد تقي لزيادة نشاطهم وفعاليتهم، ولكن الحكومة لم تعتن بهم وبات سعيهم بلا نتيجة، فكتبوا رسالة باللغة العربية واعطوها الى الحاج اقا منير البروجردي احد العلماء البارزين في مدينة اصفهان ليسلمها الى حضرة اية الله العظمى الميرزا محمد حسن الشيرازي الساكن في مدينة سامراء.

وعند ورود الحاج اقا منير الى هذا البلد، احضر الحاج الملا فتح علي السلطان ابادي استاذ آية الله العظمى الميرزا حسين النووي صاحب كتاب الكلمة الطيبة في الانفاق الذي تم تصحيحه وتنظيمه على يد الحاج النووي للقائه، ولما قدموا الشاي الى الحاج ملا علي قال: لست بجائع لأشبع ولا عطشان لارتوي، ثم قال: اعرف سبب مجيئك الى سامراء، تريد ان اقرأ الرسالة التي تريد تسليمها الى الميرزا الشيرازي؟

فبدأ بقراءة الرسالة عن ظهر الغيب من دون ان يراها، ومنها يعلم مقدار بصيرته وجلاء ضميره، فقال الحاج اقا منير: تفضل علي بتعليمي شيئا ما فقال الحاج ملا فتح علي: انتم بحر مواج! قال الحاج اقا منير: اريد ان اتعلم من لسانكم ليكون قانونا ووظيفة عملية لي، فتفضل الحاج ملا فتح علي بالقول: عليك ان لا تترك ثلاثة أعمال:

١ ـ الصلاة في أول الشهر.

٢ ـ صلاة ليلة الدفن عندما تسمع بوفاة شخص.

٣ ـ الاستمرار على قراءة زيارة عاشوراء.

نقل شيخنا ثقة الإسلام النوري (نور الله مرقده) في (دار السلام) عن شيخه معدن الفضائل والمعالي مولانا الحاج ملا فتح علي السلطان آبادي (عطر الله مضجعه) قال: كان من عادتي وطريقتي أن أصلي ركعتين لكل من سمعته مات في ولاء أهل البيت عليهم السلام في ليلة دفنه سواء عرفته أو جهلته.

ولم يكن أحد مطلعا على ذلك، إلى أن لقاني يوما في الطريق بعض الأصداق فقال: إني رأيت البارحة فلانا في المنام ـ وقد توفي في هذه الأيام ـ فسألته عن حاله، وما جرى عليه بعد الموت.

فقال: كنت في شدة وبلاء وآل أمري إلى العقاب عند الجزاء إلا أن الركعتين اللتين صلاهما فلان ـ وسماك ـ أنقذتني من العذاب، ودفعت عني العقاب فرحم الله أباه لهذا الاحسان الذي وصل منه إليّ.[8]

توفي سنة ١٣١٧ بكربلاء، درس أول مرة في إيران ثم ورد العراق فأدرك صاحب الجواهر في أواخر أيامه ومن بعده اخذ عن الشيخ مرتضى الأنصاري والحاج ملا علي الرازي ابن ميرزا خليل الطبيب ثم تخرج بالميرزا السيد حسن الشيرازي ولما خرج الميرزا من النجف إلى سامراء سنة ١٢٩٢ خرج معه وكان ينوب عنه في الصلاة بالناس وكان الميرزا يقتدي به ويأمر الناس بالاقتداء به ورجع بعد وفاته إلى كربلاء وسكن إليه الناس وبها مات.

---

(١) مرآة الشرق للشيخ صدر الإسلام محمد أمين الإمامي الخوئي: ص٩١٦ ـ ٩١٧.

(٢) موقع إلكتروني: مع علماء النجف.

(٣) الفوائد الرضوية: ج٢، ص١١٢.

(٤) دار السلام: ج٢، ص٣١٥.

(٥) حقائق الاصول (السيد محسن الحكيم): ج ١، ص ٩٥.

(٦) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج ٨، ص ٣٩٢.

(٧) دار السلام: ج٢، ص٣١٦ ـ ٣١٧.

(٨) منازل الآخرة والمطالب الفاخرة للشيخ عباس القمي: ص ١٣١ ـ ١٣٢.



إخراج الناقة وفصيلتها من بطن الجبل

عن الشيخ الأجل شرف الدين قطب الشريعة إسماعيل بن قبرة،قال: حدثني والدي قبرة الخطيب الارفوي، قال: حدثني جدي، عن مكحول بن إبراهيم، عن يحيى بن عبد الله بن الحسن العبد الصالح، قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قدم عليه رجل من الشام، فقال: يا رسول الله نحن أربعة آلاف وأربعة من العلماء ممن قرأ التوراة والزبور والإنجيل، وما منا إلا من يقر بأن يأتي آخر الزمان مبعوث، وإنا اجتمعنا واتفقنا على أن الأنبياء أخبرت الأوصياء، والأوصياء أخبرت التابعين، والتابعين أخبرتنا، ونحن نخبر أتباعنا بأنه يأتي نبي آخر الزمان عليه دين، وبقضاء ذلك الدين تثبت عندنا نبوته، وذلك أنه يخرج الله على يده أو على من يليه في الأمر بعده من جبال المدينة سبع نوق، سود الحدق، حمر الوبر، أحسن من ناقة صالح عليه السلام يتبع كل ناقة فصيلها، كل ناقة لسبط منا تحيي لحياة السبط، وتموت لماته، وقد اختار العلماء من بينهم أنا وقد بعثوني إليك.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتعرف الجبل؟

قال: نعم.

فقال: اذهب معي، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو وأصحابه ومعهم ذلك العالم إلى ظاهر المدينة، وأومى بيده إلى جبل من الجبال، وقال للرجل: هذا هو الجبل؟

فقال: نعم، فصفّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدميه وصلى ركعتين، وبسط كفيه للدعاء، ولم نسمع صوته، وإذا نحن نسمع أصوات النوق من الجبل.

فقال الرجل: مهلا يا رسول الله (لا تخرج النوق ولكن أخرج ناقتي، فما قبضي قبضهم، ولا إيماني إيمانهم، بل أنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك محمد رسول الله نبي آخر الزمان، يا رسول الله) إني عائد إليهم ومخبرهم بما رأيت وبإسلامي، وآتي بهم بعد أن يروا ناقتي.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: افعل ما بدا لك، فرجع إلى أصحابه وأخبرهم بما عاين، ففرحوا ورحلوا طالبين لرسول الله، وقد قبض صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: ومن ولي الأمر من بعده؟

فقالوا: أبو بكر، فأتوا إليه، فقالوا: أو كنت حاضراً على ما يقول صاحبنا؟

فقال: نعم.

قالوا: فاذهب معنا وسلّم إلينا النوق إن كنت وصيّه، فإنه لا يكون نبيّ إلا وله وصيّ، فأطرق رأسه وأطرق المسلمون، وضجّوا بالبكاء والنحيب.

فقال المسلمون: يا أبابكر، إن لم تخرجنّ النوق ليذهبنّ والله الإسلام.

فنهض أبو بكر وقال: يا معاشر العلماء، والله ما أنا وصيّه، ولا وارث علمه، وإنما أنا رجل رضي بي الناس، فجلت هذا المجلس، وإنما أدلّكم على وصيّه وابن عمّه وأخيه وصنوه عليّ.

قالوا: فاذهب بنا إليه وإنه سيبلغ المقصود على يده، فأقبل أبو بكر وأصحابه تتبعه إلى باب أمير المؤمنين عليه السلام فقرعوا عليه الباب.

فخرج علي عليه السلام فأخبروه بذلك، فلما رآهم قد أكثروا البكاء والنحيب والحزن والخوف وخشوا أن تعود الأحبار ولم يسلموا، فتقدّم عليه السلام فتبعه الصحابة والأحبار، حتى أتي الجبل، ثم أنه صفّ قدميه عليه السلام موضعاً صفّهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصلى مثل صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا بين شفتيه بشيء لم نفهمه.

قال صاحب الحديث: وحقّ من بعث محمدا بالحق بشيرا ونذيرا لقد سمعت أصوات النوق من الجبل مثل ما سمعناها في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال علي عليه السلام للأحبار: تقبضون دين أخي نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ودين الأنبياء من قبله؟

قالوا: نعم، فأومى بيده الشريفة إلى نحو الجبل وقال: اخرجن بإذن الله تعالى، وإذن رسوله، وإذن وصي رسوله، فخرجت بإذن الله تعالى، وكل ناقة يتبعها فصيلها، فيقول أمير المؤمنين عليه السلام للأحبار: خذ ناقتك يا فلان، وأنت من السبط الفلاني، وهذه ناقتك كذلك حتى خرجت النوق عن آخرها، فأذعنت الأحبار تقول: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، وإنك وصيه المذكور عندنا في التوراة والإنجيل.

ثمّ قالت الأحبار لأبي بكر: ما حملك على التقدم على الوصيّ إلا ضغن منك، خابت أمة فيها هذا الوصيّ وهي غير طائعة له، ما آمنت أمة بنبيّها حيث عصت وصيه.

ثم قالت العلماء بأجمعهم: يا معاشر الصحابة، لا صلاة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا خلف الوصي، وإنا على ذلك بأجمعنا إلى أن نلقى ربنا، وأقاموا عند أمير المؤمنين عليه السلام وإن أكثرهم استشهد في وقعة الجمل، والباقين قتلوا في حرب صفين، فهذا كان سبب امتناع العلماء عن الصلاة خلف أبي بكر وغيره، ولم يفارقوه على أمر أبدا، وهؤلاء الألف والأربعة نفر وصاحب الحديث معهم - وهو يحيى بن عبد الله ــ صحابي وأمرهم واضح أشهر من فلق الصبح، وصار عدة القوم الذين لم يصلّوا خلف ابي بكر خمسة آلاف ومائة وخمسين رجلا.

---

(١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ج١، ص ٢٣٢ - ٢٣٥.



شرح الصحيفة السجادية

*الحلقة السابعة

الدعاء الأول

(الحَمْدُ للهِ الأَوّلِ بِلاَ أَوّلٍ كانَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ بلاَ آخرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ، الّذي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النّاظرين، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أوْهَامُ الواصفين، ابْتَدَعَ بقُدْرَتِه الخَلْقَ ابْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ عَلى مَشِيَّتِه اخْتِراعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَريقَ إرادَتِه، وَبَعَثَهُمْ في سَبيلِ مَحَبَّتِه، لاَ يَمْلِكونَ تأخيراً عَمّا قَدَّمَهُمْ إلَيْهِ، وَلاَ يَسْتَطيعونَ تَقَدُّماً إلى ما أَخَّرَهُمْ عَنْهُ،.....).

التأخير: الإبطاء وهو خلاف التقديم.

وورد في بعض نسخ الصحيفة (تأخراً) بدل (تأخيراً)، واستطاع يستطيع استطاعة: وهي الطاقة والقدرة، والواو جاءت لعطف جملة حالية على أخرى مثلها.

لقد جعل الله لكل مخلوق وظيفة وعملاً وأجلاً لا يتجاوزه، ومنزلة لا يتعدى حدودها ورزقاً لا يحجب عنه ولا يأتي إلا في أوانه[١]

وقيل أيضا: كالتأكيد للسابق، ـ الفقرة السابقة ـ وهما جملتان حاليتان أحدهما معطوفةٌ على الأخرى، أي: حال كونهما لا يملكون ولا يقدرون على خلاف إرادته ومشيّته وتقديره بما حدّه لهم لمن تأخّر أو تقدّم، لأنّ الكلّ مقصورٌ على حدّه ومرتبتهَ لا يتجاوز عنه.

وقيل: (فلا يملكون ولا يقدرون على تأخير التكاليف عن أوقاتها الموقّتة لها ـ كما كانت تفعله العرب من النسيء في الحجّ ـ.

وكذا لا يستطيعون تقدّماً وتأخّراً في الأحكام بأن يقدّموا منها ما أخّر أو يؤخّروا ما قدّم ـ كجعل الحرام واجباً والواجب حراماً ـ[٢]

وقيل: (لا يملكون تأخيراً عما قدمهم إليه) أي: لا يتمكن أحد من البشر أن يتأخر عن المرتبة التي جعلها الله سبحانه له.

(ولا يستطيعون تقدّماً إلى ما أخرهم عنه) أي: بأن يتقدم إلى المرتبة السابقة وقد شاء الله له المرتبة اللاحقة.

كأن يجعل نفسه في صنوف الأذكياء وقد خلق من البلهاء أو بالعكس، وهكذا في سائر الشؤون الخلقية.[٣]

وقيل: المراد بما قدمهم إليه ما أمرهم به، وحثهم على فعله، والمراد بما أخرهم عنه مانهاهم عن فعله، وألزمهم بتركه، والمعنى أنّ التّشريع، والتّحليل، والتّحريم لله وحده ولا شيء منه للفرد، أو لأية فئة، أو هيئة كما أشرنا.

وفي نهج البلاغة:

«واعلموا... أنّ ما أحدث النّاس لا يحلّ لكم شيئاً مما حرم عليكم، ولكن الحلال ما أحلّ الله، والحرام ما حرم الله».[٤]

أي إنّ هذه التّشريعات التي تصدر عن الكنائس، ومجالس النّواب وغيرها ـ لا تغير شيئاً من حُكم الله تعالى، ولا تؤخر (أي تحرم ما أحلّ الله)، ولا تقدّم (أي لا تحل ما حرم الله).[٥]

وقيل: تسمى هذه المرتبة عند السالكين، الفناء في الله، وإليه أشار عليه السلام بقوله:

«قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن، يقلبه كيف شاء».

وبعد أن عمل بقوله عليه السلام:

«موتوا أنفسكم قبل أن تموتوا».

وبعد هذا الموت يحيه الله تعالى ويبعثه ويؤيده بالقوة الإلهية.

وأشار في المرحلة السابقة من الدعاء سيد الموحدين عليه السلام بقوله:

«ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية، بل بقوة ربانية».

فإنه أفنى قوته الجسمانية في جنب الله، فأفاض الله عليه من قوته.

وكذا قوله في صفة المتهجدين:

«إنهم خلوا بربهم فكساهم من نوره».

فإنهم أفنوا حسّهم البشري بالفكر والسهر، واصفرت وجوههم منه، وبعد هذا أفاض الله عليهم من حسنه وأنواره.

وتسمى هذه المرتبة البقاء في الله.

وقوله: (لا يملكون تأخيرا) أي: كالتأكيد له، فإنهم قد تخلقوا بأخلاق الله فلا يستطيعون مخالفته، لأنه هو المتصرف في قلوبهم وأمورهم، وهم كالآلات التي يقع بها الفعل.[٦]

وقيل: إنّ المخلوقات لا يقدرون على تبديل قضائه الحتميّ الذي قدّره تقديراً، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.[٧]

وقيل: ملك الشيء ملكاً، من باب ضرب: إحتواه قادراً على الإستبداد به.

والملك بالكسر: اسم منه.

والإستطاعة: الطاقة والقدرة، يقال: إستطاع يستطيع، وقد تحذف التاء فيقال: إستطاع يستطيع ـ بالفتح ـ ويجوز بالضمّ.

كقول أمير المؤمنين عليه السلام: في خطبة الأشباح:

«قدر ما خلق، فأحسن تقديره، ودبّره بألطف تدبيره، ووجهه لوجهته، فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته إذ أمره بالمضي على إرادته كيف وانما صدرت الامور عن مشيته».[٨]

---

(١) بحوث في الصحيفة السجادية للشيخ صالح الطائي: ص٨.

(٢) لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية للسيد محمد باقر الموسوي الحسيني الشيرازي: ج١، ص٣٣٩.

(٣) شرح الصحيفة السجادية للإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي: ص١٦.

(٤) في ظلال الصحيفة السجادية. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٢، ص٥١٤.

(٥) في ظلال الصحيفة السجادية للشيخ محمد جواد مغنية: ص٤٩.

(٦) نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية للسيد نعمة الله الجزائري: ص٢٩.

(٧) رياض العارفين في شرح صحيفة سيد الساجدين لمحمد بن محمد دارابي: ص٢٣.

(٨) رياض السالكين في شرح الصحيفة السجادية للسيد علي خان الحسيني: ج١، ص٢٦٩.





كيف نربّي أطفـــالنا

يعد التباهي سلوكاً مناقضاً لسلوك الخجل، فقد يمر بعض الأطفال عبر مرحلة أو عدة مراحل من نموهم بسلوك نسميه التباهي، وهو صفة غير مرغوب فيها ولو أن البعض يعتقد أن الطفل يجب أن يكون متباهياً باستمرار.

تطور سلوك التباهي عند الطفل

وعادة يبدأ هذا السلوك في مرحلة الطفولة المبكرة (٣ - ٥) سنوات، وفي مرحلة المراهقة، ويتميز طفل الثالثة من عمره بالنمو السريع لشخصيته الاجتماعية حتى تبدأ فرديته بالتشكل لدى تقدمه في عملية الفطام الانفعالي عن أسرته، ويستمر الطفل كذلك حتى الخامسة من العمر حيث ينجح في تأكيد ذاته بشكل جيد، ويتخذ الكفاح من أجل الاستقلال الذاتي، شكل الصخب والتباهي والقتال.

ولا يستطيع الطفل في هذه المرحلة إقامة خط فاصل بين تأكيده لذاته الذي يرغب الآباء والأمهات في تشجيعه إلى حد ما، وبين الحصول على اهتمام الآخرين، من خلال قيامه ببعض النشاطات.

ظهور سلوك التباهي عند الطفل

وينجذب الراشدون عادة نحو الأطفال لنشاطهم وحيويتهم، وخاصة نحو أطفالهم بالذات لما يثير لديهم من انفعالات، فهم ذواتهم الأخرى، ويشجعون عنصر الأنانية لديهم ويسلطون الأضواء عليهم، ويحثونهم على التكبر على بعض الأطفال والراشدين في أوضاع معينة.

ولابد أن معظمنا لاحظ ذلك أثناء زيارة الأصدقاء، حيث يحتكر الطفل اهتمام المنزل بأسره، ولا يفسح المجال للمناقشات بين الراشدين، ويحاول الطفل إظهار مهاراته وبراعته أثناء الزيارة، وبالتأكيد لا يلام الأطفال على هذا السلوك إذا سمح لهم الآباء القيام بذلك، ومع هذا، فإنهم من المهم جداً أن يكون للأطفال دور ووقت معقول للتعبير عن أنفسهم، والمشاركة في المناسبات الاجتماعية، والأسرة التي لا تعلم أطفالها المهارات الاجتماعية المختلفة كتقديم الذات للآخرين على نحو لبق، إنما يسيئون إلى أطفالهم دون شك.

وقد يصدر سلوك التباهي، عن أسباب أخرى، غير الأسباب المتعلقة بالنمو، وخاصة عندما يكون هذا السلوك متصرفاً ومستمراً، فقد يتعلم الطفل التباهي ليعوض أو يخفي بعض أنواع الارتباك أو الخجل أو عدم الكفاءة لديه عن أعين الأطفال والراشدين الآخرين، ويشكل التباهي في مثل هذه الحالات نوعاً من الغناء في الظلام ليحافظ الفرد على شجاعته، وقد يكون تباهي الطفل من أجل التفاخر أمام الزملاء ومحاولة جذب الانتباه إليه.

دور الأسرة في الحد من سلوك التباهي

إن الأسرة الواعية لا تسمح لطفلها في المغالاة بالتباهي وجذب الانتباه إليه أمام الغرباء، لأنه بذلك يتعمق حبه لذاته لدرجة

الأنانية، ويغدو طفلاً يرغب بالمديح من أي كان ولأتفه الأسباب، كما يطلب من الآخرين رعاية حاجاته دون أي اعتبار لشخصياتهم أو حاجاتهم الخاصة.

علينا ألا نشجع الطفل على هذا السلوك ومن خلال معايشتنا له نشرح له أن هذه الأنماط السلوكية أنماط غير مرغوب فيها، وستسبب نفور الآخرين منه، وبالتدريج سيتلاشى هذا السلوك مع الزمن شريطة ألا يشجع أو يعزز من أحد. فكما يقال إن غياب المشاهدين عن المسرح سيؤدي إلى فشل الممثلين حتماً.

هل الطفل يتكيّف مع المؤسسة التربوية؟

من المفترض أن يتكيف الطفل مع المؤسسة التربوية «الروضة ـ المدرسة» وذلك حتى تستطيع العملية التربوية تحقيق أهدافها، وسنناقش الأمر من خلال طفل الروضة، لأنه من المفترض أن يدخل إلى الروضة قبل التحاقه بالمدرسة الابتدائية.

١. تعريف تكيف طفل الروضة

هو تجريب الطفل لأول مرة في حياته كيف يكون شخصاً آخر بين الآخرين، وتكون تجربة قوية بقدر ما هي جلية المعالم.

٢. أسباب عدم تكيف طفل الروضة

إن الطفل تعود أن يعيش دون تقيد في جو أسرته، اعتاد أن يرى وجوهاً محددة من أفراد أسرته إضافة إلى أقربائه وجيرانه المترددين على الأسرة. وكلما كانت الأسرة من النوع المنضوي والقليل في علاقاته الاجتماعية، كان الطفل أكثر استغراباً ووحشة من جو الروضة الجديد بالنسبة له، ويمكننا أن نعدد بعض الأسباب التي تؤدي إلى رفض الطفل للروضة أول مجيئه لها كما جاءت في كتاب المشكلات السلوكية للطفل في سن ٣ ـ ٦ سنوات للدكتور فريد حسن.

الانتقال من جو الحرية المطلقة في البيت إلى جو من الانضباط والحدود، كالجلوس في مكان محدد، والحركة والطعام في وقت محدد، الكلام في وقت محدد، وما إلى ذلك من أمور كان يفعلها في البيت أنى شاء وبكثير من الحرية، والبيوت تختلف في مجال عطاء الحرية للطفل من بيت متشدد إلى بيت آخر غير مبال بين الحالتين حالات متفاوتة في الشدة واللامبالاة.

انتقال الطفل من جو اعتاده سنوات هي الأولى في حياته وخبرته إلى جو جديد لا يعرف عنه أي شيء.

تركه لأمه التي يعتبرها مركز العالم، ولأبيه وإخوته، إضافة إلى أثاث البيت وغرفه التي أصبحت جزءاً من حياته، ليلتقي في الروضة بكبارهم المربين والمستخدمين، وبصغارهم زملاء الروضة، وهو عديم الخبرة فيما يرغبون منه أن يكون، وفيما ستكون نوعية العلاقة بينه وبينهم. وكلما كانت خبرة الطفل الاجتماعية عامرة ستكون نوعية العلاقة بينه وبينهم. وكلما كانت خبرة الطفل الاجتماعية عامرة بالتجارب في التعامل مع الآخرين كانت عملية التلاؤم أسهل.

ترك الطفل لألعابه وممتلكاته الخاصة التي يكون قد بدأ يشعر بحب التملك الشديد لها قبل سن الروضة بقليل، تركها في البيت والمجيء إلى الروضة، وقد تكون بعض الرياض غير ملبية لكثير من حاجات الطفل في اللعب إلى الحد المعقول. وكلما كان الطفل يمتلك في بيته عدداً كبيراً من نوعية جيدة من الألعاب كان أكثر تألماً من غيره الذي لا يمتلك في أسرته شيئاً منها، وذلك بسبب تركه ومغادرته لألعابه التي تعلق بها.

تغير نمط الغذاء والنوم واللعب: فالغذاء من حيث طريقة تناوله والمكان والزمان المحددان له عند بعض الأسر، والحر عند غيرها، وجو الحنان والألفة الأسري على مائدة الطعام، كل هذا يجعل الفارق واضحاً عند الطفل بين الروضة والبيت.

أما في مجال اللعب فإن التقييد الذي يفرض على الطفل إلى حد كبير يجعله يشعر بالفارق القليل أو الكثير أحياناً سلباً أو إيجاباً بين البيت والروضة.

قد يكون السبب من الروضة بدءاً من بنائها وأثاثها وباحتها وألعابها أو مربياتها أو مستخدماتها. من واحد من هذه الأمور أو أكثر أحياناً، حيث يكون ذلك باعثاً على التشاؤم أو الضجر، حيث إن جمال البناء والمفروشات والألوان الجذابة والألعاب الجميلة، والمربية البشوش المرحة، والمستخدمة العطوف كل ذلك يجعل الطفل أكثر انشداداً إلى الروضة.

وقد يكون لطريقة استقبال الأطفال لزميلهم الجديد والتعامل معه أثر في تلاؤمه، فكلما كانت المعلمة مدركة لما يفعله الأطفال القدامى بزميلهم الجديد، من إشراك له في اللعب، والحديث معه بشكل لطيف، وعدم إحراجه أو جرحه بالكلام، أو حتى بالنظرات. فكلما كانت المعلمة مدركة لما يفعله الأطفال القدامى بزميلهم الجديد، من أشراك له في اللعب، والحديث معه بشكل لطيف، وعدم إحراجه أو جرحه بالكلام، أو حتى بالنظرات. فكلما كان الجو إيجابياً أسرع الطفل في التأقلم، وكم من طفل كره الروضة بسبب مضايقة طفل آخر له دون شعور المعلمة بهذا الأمر، وخاصة عندما يكون الطفل الجديد ذا شخصية رقيقة حساسة، وغير ذي خبرة اجتماعية كافية، أو عندما يكون منطوياً أو جباناً، ويلتقي بطفل أقدم منه ذي خبرة اجتماعية كافية، أو عندما يكون منطوياً أو جباناً، ويلتقي بطفل أقدم منه ذي شخصية قوية أو شرير محب للمزاح والتعامل والأخذ والعطاء، بينما يكون ضيفنا الجديد من النوع الذي لا يمتلك مثل هذه الخبرات.

تعلق الطفل بأحد أفراد أسرته الباقين في البيت مما يؤدي إلى صعوبة تلاؤمه بسرعة في الروضة، فترك الطفل لأمه وهي غير مبارحة البيت، تركه البيت وأمه فيه يضايقه كثيراً، أو تركه البيت وفيه أخوه الأصغر، والذي اعتاد أن يداعبه ويشاركه ألعابه وحديثه وعواطفه يسبب ايضاً له حرجاً وضيقاً.

إذا كان البيت من النوع الذي يسمح للطفل مغادرة المنزل إلى حديقته أو الشارع القريب أو البعيد، أو إلى بيوت الجيران، كلما كان الطفل لديه هذه الحريات في الانتقال صعب تقييده في الإيام الأولى في الروضة.

أدوات التسلية البيتية وفخامتها مثل الفيدو. والأتاري والألعاب الكهربائية والإلكترونية، وغير ذلك من ألعاب يمتلكها الطفل ضمن بعض الأسر يجعل من الصعب على الطفل الابتعاد عنها لفترة طويلة، بينما تفتقر أكثر رياض الأطفال إلى ألعاب يمكن للطفل أن يلهو بها ويلعب، وخاصة تلك التي من المستويات السابقة الذكر.[١]

---

(١) فقه الأسرة وآدابها، السيد علي عاشور: ص٩١ ـ ٩٦.



كان آية الله الحاج السيد محمد كاظم المدرسي رحمه الله شديد الحب للإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكان يعيش الوله والشوق والانشداد إلى درجة لا يتمالك دموعه عند ذكره.

قيل ـ والقائل هو تلميذه الفاضل الشيخ محمد كاظم أنو شيرواني ـ: إنه ذات مرة أخذ في مناسبة يقرأ لنا بعض أشعار في مدح الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والاستغاثة به، ولكنه ما استطاع إكمالها إذ خنقتْه العَبرة في عدة مقاطع منها وأخذتْ دموعه تتقاطر على خدّه فبدأ يمسحها بيده.

ومرة أخرى كنا في داره جالسين مع بعض الأشخاص نتحادث في موضوع يرتبط بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وإذا بالسيد مرّ من قربنا فسمع اسم الإمام صلوات الله وسلامه عليه فتفوّه من أعماق وجوده وبكل أحاسيسه قائلا: روحي له الفداء.

فانتبهنا له واقشعرّتْ جلودنا لصوته في الوقت الذي كان منصرفاً إلى أمره وآخذاً في شأنه ونحن ننظر إليه.

إلا أن السيد مع حبه العميق وهذا الانشداد الروحي الشديد للإمام الحجة المهدي عجل الله تعالى فرجه لم يكن من النمط المُفرِط... .

نعم لقد رفض العلاّمة المدرّسي رحمه الله هذا النمط القشري في العلاقة مع الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف إنما اعتمد النمط القائل:

كن في علمك وعملك كما أمرك القرآن والعترة الطاهرة، وهنالك سوف يأتيك الحجة بنفسه.

إن الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف ليس عند من يعتزل الحياة ولا يهتم بأمور الناس، لأن الإسلام لا يتجزأ، فما هو الفرق بين هذا الذي يبعّض في العمل بالآيات القرآنية حسب راحته وعافيته وبين الذي فعل ذلك في عصر الأئمة عليهم السلام والإمام بين يديه، من هنا فإن المهم في هاجس الحب للإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف والشوق للقاء به أن يقترن بالوعي العقلي والمعرفة القرآنية للوظيفة الشرعية التي يريدها منك الإمام (أرواحنا لتراب مَقْدَمه الفداء).[1]

إن الله يؤتي الحكمة من يشاء

نقل المرحوم آية الله العظمى الحاج فاضل الشربياني المتوفى سنة (١٣٢٢هـ) وكان من مراجع الدين في النجف الأشرف أن الحاج ميرزا أبا المكارم والحاج ميرزا أبا طالب الزنجاني استخارا بالقرآن الكريم لأن يدرسا عند آية الله السيد حسين كوه كمري رحمه الله فظهرت الآية قوله تعالى: ((فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا))[2]

فالآية مناسبة في صميم المطلب، لذلك حضرا دروس السيد ونالا درجة رفيعة منه في العلم.[3]

---

(١) كتاب قصص وخواطر للشيخ المهتدي البحراني: ص٢٠٧ ـ ٢٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

(٣) قصص وخواطر للشيخ البحراني: ص٢٠٧.

الكيمياء

الحلقة الأولى

الكيمياء هي علم المادة.

فهي تدرس تركيب المواد الصافية منها والمركبة، كما تدرس تحوّلاتها وكيفية تحضيرها وصناعتها، ومدى مساهمتها في التفاعل مع مواد أخرى، وبذلك فهي لا تتوقف مطلقاً عن إيجاد منتوجات جديدة أهمها: المواد البلاستيكية، والأدوية... وما شاكل، وتطرح الأسئلة العديدة بغية الإجابة عنها.

يحتاج العلماء إلى معرفة مركبات الهواء والليمون الحامض، وتركيب الأطعمة، والمواد اللازمة لتركيب أدوية جديدة تؤثر في هذه الأمراض.

هذه الأمثلة البسيطة من علم الكيمياء المعقد تتيح إمكانية فهم الأدوار الأساسية لعلم الكيمياء بهدف الوصول إلى تحضير منتوجات جديدة تلبي كل الطلبات والحاجات... .

لا يهتم الكيميائيون بالشيء، بحد ذاته، بقدر ما يهتمون بالمادة المصنوع منها، هذه الأخيرة تكون عادة مكوّنة من مزيد من عدة مواد ينبغي بادئ ذي بدء فصلها؛ بغية التعرف إلى التركيب الصحيح للمادة قيد الدرس.

بعد القيام بفصل كل المركبات، يقوم الكيميائي بتحليل كل مادة منها، لمطابقة العناصر التي تركبها، وكذلك عدد الذرات من كل عنصر.

عندما تصبح أمامه كل مكونات المادة، عبر هذا التحليل الكيميائي يصبح في إمكانه آنذاك التنبؤ بتحولاتها، ونتائج تفاعلاتها مع المواد الأخرى... .

الكيمياء كالفيزياء، علم مبني على التجربة، لكنهما أمام ظاهرة واحدة يهتم فيها كل من الفيزيائي والكيميائي بأحداث مختلفة؛ أمام شمعة مضاءة يهتم بالفيزيائي بتحول الشمع من الحالة الصلب إلى الحالة السائلة تحت تأثير النار.

بينما الكيميائي يدرس اللهب الذي يفكّك البارافين (الشمع)، ويعطي الكربون وثاني أوكسيد الكربون والماء.

لكن الكيمياء، كالفيزياء، تخضع لقوانين تنظّمت بعد تجارب عديدة، تصف هذه القوانين تركيب الأجسام، والظروف التي تتفاعل فيها هذه الأجسام.

أصل كلمة كيمياء

كيمياء هي في الأصل كلمة عربية مثل السِيمِياء، مأخوذة من (الكَمِيّ) وهو الشجاع، و(المُتَكَمِّي) في سلاحه أي المتغطي المتستّر بالدرع والبيضة، وسُمِيت كذلك لأن الكيميائيين القدماء كانوا يحتفظون بمعلوماتهم سرية عن الآخرين، وتعني كمصطلح: العلم الذي يدرس المادة وتفاعلاتها وعلاقاتها بالطاقة.

ونظرا لتعدد واختلاف حالات المادة، والتي عادة ما تكون في شكل ذرات، فإن الكيميائيين غالبا ما يقومون بدراسة كيفية تفاعل الذرات لتكوين الجزيئات وكيفية تفاعل الجزيئات مع بعضها البعض.

والكيمياء هو علم يدرس العناصر الكيميائية والمواد الكيميائية (التركيب والخواص والبناء) والتحولات المتبادلة فيما بينها (التفاعلات الكيميائية).

ويذكر بعض المؤرخين أن العلماء المسلمين الذين اشتغلوا بعلم الكيمياء منذ عهد جابر ابن حيان اشتقوا لفظ(الكيمياء) من نفس لغتهم العربية، وأصل كلمة كيمياء في اللغات الأجنبية هو (الكمي . Alchemy).

وتدل أداة التعريف (الـ) على الأصل العربي ولاشك.

ويقول نفر من المؤرخين أن كلمة (كمي) من أسماء مصر القديمة وتعني الأرض السوداء.

وهناك فئة تقول بأن الكلمة أصلها يوناني قديم وعن الأصل نقل جابر وأمثاله من العلماء العرب والمسلمين ومعنى الكلمة اليونانية هو صهر المعادن وصبها . وكانت صناعة المعادن آنئذ جزءاً لا يتجزأ من عمل علماء الكيمياء والمشتغلين بهذا الفن بصفة عامة.

تصنيف العناصر

يوجد ١٠٩ عناصر كيميائية تم تصنيفها في جدول، (الجدول الدوري) ويقال عنه أيضا (التصنيف الدوري للعناصر) أو (جدول مندلييف): ذلك لأن هذا الجدول اقترحه الكيميائي الروسيديمتري إنفانوفتش مندلييف.

هذا الجدول هو الأداة الأساسية عند كل الكيميائيين الذين يستخرجون منه أهم خصائص كل عنصر.

في هذا الجدول، توضع العناصر ضمن أسطر، يطلق عليها (دوراتٍ) وضمن أعمدة، يتم الترتيب في الأسطر وفقاً لتسلسل العناصر بالنسبة إلى العدد الذري لكل منها، ومن اليمين إلى اليسار.

في حين تشير الأعمدة على العائلات الكيميائية أو المجموعات الطبيعية، أي العناصر التي عندها الخصائص الكيميائية القريبة نسبياً.

إنها حالة الهليوم والنيون والأرغون مثلاً، أي ضمن مجموعة الغازات النادرة.

تشكل عناصر هذا الجدول كل المادةٍ الموجودة في الكون، من الخفيف جداً الهيدروجين (١ ــ A)، (١ ـ Z)، إلى العنصر الأثقل اليورانيوم (٢٣٨ ـ A)، (٩٢ ـ Z) وهكذا وضعت كل العناصر بالتسلسل من الأكثر انتشاراً في الكون الهيدروجين، والهليوم إلى الأكثر انتشارا في أجواء الأرض الأوكسجين والأزون إلى الأكثر انتشاراً في القشرة الأرضية المعادن على اختلافها، ومن ثم عناصر تركب أجسام المخلوقات الحية: أوكسجين كربون، هيجروجين، أزوت، كلسيوم، فوسفور.

أخيراً، تأتي العناصر الثقيلة (ما بعد اليورانيوم)، وهي، في معظمها، منتوجات اصطناعية تمّ تحضيرها أثناء العمل بالتفاعلات النووية، كان آخرها حتى معلوماتنا هذه الماتاريوم (١٠٩ ـ Z) وجد عام ١٩٩٢م.





شروط وضوابط إصدار البحوث والدراسات الإسلامية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية

تعلن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية عن استقبال الدراسات والأبحاث الإسلامية في المجالات المتخصصة الآتية لغرض طبعها ونشرها كمساهمة مباركة من الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة وانطلاقاً من حرصها على إحياء أمر آل محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم.

(الاختصاصات)

١ـ الدراسات القرآنية.
٢ـ دراسات في السيرة النبوية العطرة.
٣ـ دراسات في علم الأخلاق.
٤ـ دراسات في نهج البلاغة.
٥ـ دراسات في السيرة الحسينية؛ وتكون الأبحاث في محورين:
المحور الأول: السيرة العاشورائية، المحور الثاني: السيرة الذاتية للإمام الحسين (عليه السلام).
٦ـ دراسات في سيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام).
٧ـ دراسات في السيرة الفاطمية.
٨ـ دراسات في العقائد الإسلامية.
٩ـ دراسات في الصحيفة السجادية.
١٠ـ دراسات إسلامية معاصرة.

(شروط البحث)

١. أن يتناول البحث واحدا من الموضوعات المحددة في الإعلان.
٢. أن يكون متصفا بالأصالة والعمق ودقة التوثيق وسلامة المنهج العلمي.
٣. أن يكون مكتوبا بلغة عربية صحيحة.
٤. أن يحظى بموافقة اللجنة العلمية المشرفة على نشر الأبحاث.
٥. أن يقدم الباحث نسخة ورقية منضدة من البحث ترفق معها نسخة على قرص مدمج (CD).
٦. أن يقدم الباحث موجزاً عن سيرته العلمية مع نسخة مصورة لشهادته الأكاديمية أو الحوزوية.
٧. أن لا يكون البحث قد نشر سابقا.
٨. أن لا يكون البحث مقتبسا أو مكررا أو يغلب عليه الجمع في المادة بحيث يختفي معه رأي الباحث.
٩. أن يكون البحث جديدا في موضوعه ومادته البحثية ومميزا في أسلوبه ومعالجته.
١٠. للجنة العلمية الحق في تصحيح بعض المعلومات والمصطلحات متى لزم ذلك.
١١. في حال مخالفة البحث لأحد هذه الشروط يتم رفض البحث ولشعبة الدراسات الحق في حفظ البحث في أرشيفها أو إعادته إلى صاحبه.
١٢. يسلم البحث إلى شعبة الدراسات في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة أو يرسل عن طريق البريد الإلكتروني (info@imamhussain-lib.com) وموقع قسم الشؤون الفكرية على الإنترنيت (www.ImamHussain-lib.com).
١٣. تعتذر شعبة الدراسات عن طبع الكتب الفقهية والدرسية والدواوين الشعرية والمباحث الأصولية والمنطقية وما هو خارج عن تلك الاختصاصات التي تم تحديدها أعلاه.

(ضوابط كتابة البحث)

تكتب البحوث وفق المواصفات التالية
أ/ الكتابة بخط (Traditional Arabic)
ب/ يكتب متن البحث بخط مقاس (١٨)
ج/ تكتب الحواشي (الهوامش) بخط مقاس (١٤)
د/ تكتب العناوين الجانبية بخط مقاس ١٨ (غامق) Bold.
هـ/ لا يزيد عدد الأسطر في الصفحة على ٢٥ سطراً.
و/ تكتب الآيات بالرسم العثماني فقط.
ز/ اختيار أحد أساليب التوثيق المعروفة والمشهورة.
ح/ يفقّر البحث تفقيرا علميا معروفا في إعداد الدراسات الإسلامية.
ط/ يقدم البحث وهو مجلد تجليدا حلزونيا (سبايرول) مع إرفاق قرص مدمج (CD) للبحث على أن يكون بصيغة وورد فقط (doc).